الرومانسية
في شعر أبي القاسم الشابي

الرومانسية في شعر أبي القاسم الشابي

خديجة العطشان

اسم الكاتبة: خديجة العطشان
اسم الكتاب: الرومانسية في شعر أبي القاسم الشابّي
تدقيق لغوي: فريق المكتبة العربية
تصميم الغلاف: فارس حسن
الإخراج الفنيّ: جمال عبدالرحيم
الطبعة / الأولى – أكتوبر ٢٠١٩ م
رقم الإيداع: 2019 /

١١٤ ع جنوب الأحياء – السادس من أكتوبر
Arabiclibrary2017@gmail.com
Facebook.com/arabiclibrary2017
ت / ٠١٠٣٠٣٦٥٨٠١

جميع الحقوق محفوظة للمكتبة العربية للنشر والتوزيع، ولا يجوز استخدام أي من المواد التي يتضمنها هذا الكتاب، أو استنساخها أو نقلها، كليا أو جزئيا، في أي شكل وبأي وسيلة، سواء بطريقة إلكترونية أو آلية، بما في ذلك الاستنساخ الفوتوغرافي، أو التسجيل أو استخدام أي نظام من نظم تخزين المعلومات واسترجاعها، دون الحصول على إذن خطي من الناشر.

بسم الله الرّحمن الرّحيم

المُقَدِّمَة

أبو القاسم الشابي ، هذه الشخصية المتفرِّدة في أدبنا العربي الحديث، وإذا ما ذكرت الحساسية المفرطة والانفعال الشديد والتجاوب اللا محدود مع التجارب الشعورية، - إذا ما ذكرت هذه وتلك - فإنه أوَّل من يتبادر إلى الذهن من الشعراء العرب المحدثين هو : شاعرنا أبوالقاسم محمد بن بلقاسم الشابي ، فمما يدعو إلى الدهشة ولفت الانتباه أن هذه الكنوز الأدبية التي تركها الشابي كانت حصيلةً لتجربة شعرية لم يشأ القدر لصاحبها أن يعيش أكثر من خمس وعشرين سنة، وإذا كان استثناء سني الطفولة، فإن عمرالشابي بتجاربه المتنوعة الشاملة لا يتعدّى الثلاثة عشر عاماً، فظهر فجأة كشاعر تام النضج، فأي معجزةٍ أدبيةٍ وأيُّ ندرة شعرية أتى بها الشابي ؟

إنَّ صحة فهم الشابي لرسالة الشعر، وكل ما أتى به في هذه الفترة الزمنية القصيرة من الوضوح والعمق هو أول الأسباب التي لفتت نظري إلى محاولة البحث عن سر هذه الجودة، وبيان مظاهرها في شعره.

وعند قراءتي لديوانه كثيراً – وكثيراً جداً – ما كنتُ أجدُ نفسي في أنفاس أبي القاسم الشابي فيأخذني بجزره ومدّه لأشاركه تجربته ومشاعره فيبلَّ دمعي محملي.

وقد جعلتُ هذه الدراسة المُلحَّة عليَّ، قائمة على أربعة فصول على النحو التالي :

الفصل الأوَّل : أبوالقاسم الشابي : موجز ترجمته – بواعث التجربة الشعرية عنده.

الفصل الثاني : مكونات المدهب الرومانسيّ – الحركة الرومانسية .

الفصل الثالث : جذور الرومانسية في الشعر العربي :

الرومانسية في القرون الإسلامية الأولى – الشابي والرومانسية في العصر الحديث .

الفصل الرابع :الوطنية في شعر الشابي – الطبيعة في شعر الشابي – المرأة في شعر الشابي .

غير أنَّ تباين الآراء واختلافها حول الشابي في بعض المواقف جعلني أنتقي ما هو قريبٌ إلى نفسي ورأيي، حيثُ إنَّ الجهل بتفاصيل حياة الشابي ومواقفه الدقيقة وتدخل العوامل

الفعالة التي اشتركت في تكوين تجربته الشعرية شكَّل صعوبة ما، فلم تكن حياته واضحة أمامي كلَّ الوضوح.

ومن ذلك على سبيل المثال لا الحصر عندما نظم الشابي قصيدته "**إلى الله**" ورد في كتاب "**الشابي شاعر الحب والحياة**" لـ "عمر فرّوخ[١] أنَّ الشابي شطح في هذه القصيدة شطحة هي الإلحاد، ولكنني لم أقتنع بذلك (وهو وصفه بالإلحاد) لأنَّ الشابي عندما قال :

خَبِّروني هَلْ للورَى مِنْ إلهٍ رَاحمٍ- مثلَ زعمِهِمْ - أوَّاه !

أدرك المزلق الذي وقع فيه قبل أن يرتد نفسه عن البيت الثاني فقال بعده مباشرة:

مَا الَّذِي قد أتيتَ يا قلبيَ البَالي ومَاذا قدْ قُـلْـتِـهِ يـا شِفَاهِي ؟

يَا إلهِي، قـدْ أنطـقَ الـهمُّ قلبي بالَّذِي كَانَ فاغْتَفرْ يا إلَهِي!

---

١ "الشابي شاعر الحب والحياة" ص ١٣٩

فإنه لا يجوز - في رأيي - أن نصفه بالإلحاد من موقفٍ واحدٍ، بل هي محنة إيمانية اعترضته وخرج منها سليماً معافى، والعبرة بالنتائج.

كما أنني أهدف من دراستي لرومانسية الشابي إلى أنَّ الشابي عندما كان شاعراً اتخذ من الشعر قضيةً يعيش من أجلها وأنَّ رومانسيته سرٌّ من أعظم أسرار شهرته الأدبية، وهي التي تفسح له مكاناً في القلب، فقد كان صادقاً في شعوره وتعبيره، أميناً في حمل الرسالة الأدبية الفنية الرفيعة التي تضخم إيمانه بها.

" وكادت العواطف عنده تصبح مرضاً ناهشاً وإنَّ الشعر كان هو السل الأكبر في حياة هذا الشاعر المشتعل ومن أجله عاش يتعذب بكل جمال يمر به، وإن كان عذابه لذيذاَ " . [١]

وبين يديك الآن - أيها القارئ الكريم - حصاداً رومانسياً لحياة أبي القاسم الشابي القصيرة يقدمه إليك الشابي نفسه فيقول:

---

١ نازك الملائكة، الآداب البيروتية يوليو ١٩٥٤ ورد هذا التعليق في " الشابي شاعر الحب والحياة " لـ " عمرفرّوخ " .

عِـشْ بالشُّـعُـورِ وللـشُّـعُـورِ فَـإنَّمَا

دُنيـاكَ كَـونُ عَواطفٍ وشُعُورِ

شِيدَتْ على العَطْفِ العَمِيقِ وإنَّها

لَتَجِـفُّ لو شِيـدَتْ عَلَى التَّفْكِيرِ

وَتَـظَـلُّ جَـامِـدَة الجَـمَـالِ كئيـبـةً

كَالمَـوْتِ مُـقْـفِـرَة بِغَيرِ سُرُورِ

وقد قال أبو الفرج الأصفهاني : [١]

"وليست إساءة من أساء في القليل وأحسن في الكثير مُسقطةً إحسانه. ولو كثرت إساءتُه أيضاً ثم أحسن لم يُقل له عند الإحسان أسأت، ولا عند الصواب أخطأتَ، والحق أحق أن يُتبع".

---

[١] أبوالفرج الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ - ٩٦٧ ف) صاحب " كتاب الأغاني " .

ومازالت الكلمة الأخيرة لم تُقل في أي بحث إنساني، ولايزال الميدان مفتوحاً للدرس، فإن وفقتُ فمن الله وإن قصّرتُ فذلك جهد البشر.

" وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ " [يوسف ٧٦]

والله ولي التوفيق

الفصل الأوَّل

أبو القاسم الشابيّ

- موجز ترجمته .
- بواعث التجربة الشعرية عنده .

أبو القاسم الشابيّ

١٩٠٩ ف - ١٩٣٤ ف

ولد أبوالقاسم محمد بن بلقاسم الشابيّ يوم الأربعاء في الثالث من شهر صفر سنة ١٣٢٧ هجرياً الموافق الرابع والعشرين من شهر مارس عام ١٩٠٩ إفرنجي في بلدة توزر بتونس، وهو من أبناء القرن العشرين الذين نشأوا فيما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، أيام كان العالم العربي يتعثر بين حاضره الأليم وماضيه القريب المنقوص، ودعاة الإصلاح وأنصار الجديد في تلك الفترة الانتِقالية، إنما يلقون جحوداً وأذى لن تزيدهما سيطرة الغرب على الشرق وشموخه بحضارته، ووثوقه بمصيره، إلا احتداماً وسطوة لدى فريق واسع من الخاصَّة والعامَّة على السواء.

بيد أنَّ الشاعر لم يتردد كثيراً حتى عرف سربه فانضمَّ إليه ثم صدح محلقاً إلى أن اختطفته يد المنون وهو في ريعان الشباب .

كان والده [١] من خريجي الأزهر ومن مُجازيه، وبه درس أولاً فأقام بمصر في أوائل القرن العشرين سبع سنين، ثمَّ درس بتونس بجامع الزيتونة حصل بعدهما على **"التطويع"** [٢] ثمَّ سمي قاضياً شرعياً لسنة من ولادة بكره أبوالقاسم فتصرَّف في قضاء كثير من البلدان التونسية .

كان يقضي يومه بين المحكمة والمسجد والمنزل حيث يتبسط مع أهله، ولقد نشأ أبوالقاسم الشابيّ في سني تكوينه الفكري والخلقي في كنف رعايته الصالحة يقتبس من علمه وآدابه .

---

[١] هو المرحوم الشيخ محمد بن بلقاسم الشابي سليل أسرة شابية التي تمخضت للعلم بعد أن أنجبت في القرنين العاشر والحادي عشر هـ من حملة القلم والسيف، من اكتسبت بمساعيهم مجداًسجله التاريخ التونسيّ .

[٢] هي إجازة نهاية الدِّراسة بالكلية الزيتونية في ذلك العصر .

كان رحمه الله صادق التقى، قوي العقيدة لا يخشى في الحق لومة لائم، له غيرة على شؤون الإسلام والمسلمين، تنفعل نفسه بما يجري آنذاك من أحداث بالشرق العربي وطرابلس الغرب أو بلاد الريف . قال الشاعر متحدِّثاً عن أبيه :

"إنَّه أفهمني معاني الرَّحمة والحنان وعلمني أنَّ الحق خير ما في هذا العالم وأقدس ما في الوجود" .

لم ينشأ أبوالقاسم بمسقط رأسه، فقد خرج عنه في سنته الأولى ولم يكد يعرفه إلا قليلاً، أثناء قدْمتين أقام فيهما نحواً من ثلاثة أشهر، الأولى عند ختانه في الخامسة من عمره، والثانية زائراً، وقد استغرقت جولة الأسرة عشرين سنة ضربت في بحرها بالبلاد التونسية طولاً وعرضاً، متنقلة من قابس إلى سليانة فتالة، ومن مجاز الباب إلى رأس الجبل فزاغون. وبين هذه المدن من الأميال ما يقدَّر بالمئات أحياناً، وعلى نسبة ذلك اختلاف العادات واللهجات والمشاهد الطبيعية. فلم تكن واحة قابس كبسائط مجاز الباب

يغمرها الحصيد، ولا هذه كبساتين رأس الجبل أو كجبل زغوان يكسوه شجر الصنوبر، ولم يكن حرُّ قابس كثلوج تالة، ولا حياة الفلاحين بمجاز الباب كحياة صياديّ البحر بقابس أو رأس الجبل، ولا طباع أهل الشمال كطباع أهل الجنوب .

هذه مراحل أبي القاسم الشابيّ وشبابهُ عملت على تضخم تجربته، وتدفق شاعريته، وازدهار ريشته، بيد أنَّ الشاعر أفاد ما يفيده كل عابر سبيل متيقظ واعٍ، وإذا ما استقرَّ بأرضٍ كان ربيبها لا ابنها الأصيل . فأطلقه هذا المصير من حدود البيئة الضيقة وأكسبه **"تونسية"** إنسانية الآفاق .

وفي آخر المحرَّم من سنة ١٩٣٩ هـ الموافق١١/ ١٠/ ١٩٢٠ قبل أن يتمَّ الثانية عشرة أرسله أبوه إلى العاصمة التونسية وألحقه بجامع الزيتونة ، وقد تكوَّن سريعاً وقال الشعر باكراً .

كوَّن لنفسه ثقافة اسعة عربية بحتة جمعت بين التراث العربي في أزهى عصوره وبين روائع الأدب الحديث بمصر والعراق

وسوريا والمهجر، ولم يكن يعرف لغة أجنبية، فتمكن بفضل مطالعاته الواسعة من استيعاب ما تنشره المطابع العربية من آداب الغرب وحضارته. وكانت أوَّل نشراته في الصفحة الأدبية التي كانت ترتبها **"النهضة"** كل اثنين سنة ١٩٢٦ ف وفي سنة ١٩٢٧ ف ظهر شعره مجموعاً في المجلَّد الأوَّل من كتاب **"الأدب التونسيّ في القرن الرابع عشر"** وفي نفس السنة ألقى بنادي قدماء الصّادقية محاضرة حول **"الخيال الشعريّ عند العرب"** كانت مادَّة الكتاب الذي نشر بنفس العنوان في السَّنة التالية .

وإنَّك لتجده وهو يواصل دراسته ويضع شعره في صميم حركات الإصلاح التي تشتد بها النفوس آنذاك من بعث لحركة الشبان المسلمين ودعوة لتجديد الجهاز الثقافي التقليديّ، ومناصرة لحركة تحرير المرأة ودعوة لتجديد في الأدب تحتل المكان الأوَّل من نفسه، ولقد أحدث كتابه **"الخيال الشعريّ"** الضجة الكبرى،

واستهدف الشاعر بسببه لحملة صحفية عنيفة ثبت لها ثبات الرائد المؤمن بما يقول .

نشرت هذه الآثار في حياة والده، فلم ينكر عليه مذهبه، ووجد الشاعر في تسامح أبيه ما يعزز جانبه، وفي هذه الأثناء (سنة ١٩٢٩ ف) نُكب بوفاة والده المحبوب ولقد رافقه عليلاً من بلد "زغوان" إلى "توزر" مسقط رأسه، وتجرَّع غصص مرضه، وطفحت الكأس بموته وهو في الخمسين من عمره، فأضلع [١] بأعباء عائلة كبيرة واختار طريقاً وعراً، فإنَّه – ضناً بحرية الأديب والشاعر – لم يلج باب الارتزاق من المناصب الحكومية ورضي بحياة بسيطة على رأس أسرته بتوزر حيث تزوج، ولعلَّ هذا الذي عناه بعضهم حين قال :

" كنَّا نرى في نفسه الزكيَّة مثال القناعة في أفضل ألوانها والطوح على خير وجوهه" .

---

[١] أضلع بهذا الأمر : إذا قدر عليه، كأنه قويت ضلوعه بحمله.

وفي السنة نفسها أصيب بداء تضخم القلب، وهو في الثانية والعشرين من عمره، بيد أنَّه رغم نهي الطبيب لم يقلع عن عمله الفكري، وواصل إنتاجه نثراً وشعراً. وقد نُشرت له سنة ١٩٣٣ ف بمجلة "أبولو"[١] المصرية قصائد عملت على التعريف به في الأواسط الأدبية بالشرق العربي.

ولم يكن الشاعر المريض يغادر "توزر" إلا في الصيف ويقصد المصايف الجبلية كعين دراهم بالشمال التونسيّ ١٩٣٢ ف، والمشروحة ببلاد الجزائر سنة ١٩٣٣ ف وشرع أثناء مصيف سنة ١٩٣٤ ف في جمع ديوانه **"أغاني الحياة"** بنيّة طبعه بمصر فانتسخه بنفسه بحامة [٢] الجريد، مستعيناً ببعض أدبائها لكن باغتته المنية وحالت دون ما نوى، فقد انتابه المرض بغاية الشِّدة وقصد تونس يوم ٢٦-٨-١٩٣٤ ف وبها توفي سَحَراً يوم ٩-١٠-١٩٣٤ ف ثم

---

١ أبولو : إله الشعر عند اليونان، أو إله الفن بشكل عام ويطلق أيضاً على قائد عربة القمر .

٢ كل عين فيها ماء حار ينبع يستشفى بها الأعلاء، ومثلها حامة توزر .

نقل جثمانه إلى بلده (الشابية قرب توزر) حيثُ قبره. (ثم نقل إلى توزر أمام دار الثقافة بين النخيل).

نحيف الجسم، مديد القامة، قويّ البديهة، سريع الانفعال، حاد الذهن تكفكف رقَّة طبعه من غرب عاطفته وحدَّة ذهنه، يراه أصدقاؤه بشوشاً، كريماً، وديعاً، متأنقاً، طروباً لمجالس الأدب، يحب الفكاهة الأدبية، ويراه من لم يخالطه حيياً محتشماً ويعرف منه هؤلاء وأولئك صراحة حازمة قوية يبديها لخاصَّة خلطائه في غير تحرُّج متى اجتمع بهم ويجاهر بها العموم في شعره ونثره، وهو حين ضجر من النَّاس وتبرم بهم عبَّر عن ذلك بصراحة بقوله:

يارِبَّة الشِّعرِ غَنِّيني فقدْ ضَجِرَتْ

نفسي مِنَ النَّاسِ أَبناءَ الشَّياطِينِ

تبرَّمتْ ببني الدُّنيا وأعوزَها

في مِعْزَفِ الدَّهر غِرِّيدُ الأرانين[1]

---

[1] الأرانين كلمة غير قاموسية. الشابي يقصد أنواع الرنين (الأصوات التي فيها شيء من النَّغم) .

يـاربَّـة الشِّـعـرِ إنِّـي بـائـسٌ تَـعِسٌ

عَدِمْتُ ما أَرْتَجي في العالَمِ الدّونِ

فـإنَّ قـلـبـي قَـبْـرٌ مـظـلـمٌ قُـبِـرَتْ

فيه الأمـاني فمـا عـادتْ تناغيني [١]

وكان محباً لبلاده، صادق الوطنية يؤمن بأنَّ لقادة الفكر رسالة إنسانية سليمة ،حاول جهده أن يحققها في أثناء حياته القصيرة قولاً وعملاً، يقول في قصيدته **"إلى الطاغية"** :

لكَ الوَيلُ يـا صرحَ المظالمِ مِنْ غدٍ

إذا نَـهَـضَ المـستضعَفُونَ، وَصَمّمُوا !

إذا حَـطَّـمَ المـستعبَـدُونَ قـيـودَهـم

وَصَـبُّـوا حَـمـيـمَ الـسـخـطِ أيَّانَ تَعْلَمُ!

أغرَّكَ أنَّ الشعبَ مغْضٍ على قذىً

وأنَّ الفضاءَ الرّحبَ وسنـانُ، مظلـمُ ؟

---

[١] ديوان أبي القاسم الشابي ٦٤/ ١٧٥ .

ألا إنَّ أحـــلامَ البـــلادِ دفـينـــةٌ،

تُجـمـجـمُ في أعمـاقِـهَـا مـا تُـجَمْجِـمُ

١ وفي قصيدته "إرادة الحياة" يقول : [١]

إذا الشَّعْبُ يَوماً أرادَ الحيـاة

فـلابُـدَّ أَنْ يَسْتجيبَ القـدرْ

وَلاَبـدَّ للَّيـلِ أنْ ينـجلـي

ولابـدَّ للقيـدِ أَنْ ينكـسِـرْ

ومَنْ لم يُعَانِقْهُ شَوْقَ الحَيـاةِ

تبـخَّـر في جَوِّهَـا وِانْدَثَـرْ

---

[١] ديوان أبي القاسم الشابي ٦٤ف/ ٤٠٦ .

بواعث التجربة الشعرية عند أبي القاسم الشابيّ:

خلق شخصية الشابي العجيبة عوامل واضحة المعالم في حياته وفي أحواله النفسية ثم بعث التجربة الشعرية في اتجاهه الفكري وفي شعره.

(أ) حال بلده تونس، في البؤس الاجتماعي والتخلف الثقافي، والضعف السياسي، مما خلفه الاستعمار الفرنسيّ فلم يكن بإمكان الشابيّ إلا أن يتأثر بحال تونس في التعس والفقر والظلم. ولقد أنصف الشابي بلده في شعره فلم يكتفِ بأن يصفه وصف ناقمٍ أو راحمٍ فقط، بل كان يحثُّ قومه على الرقيّ يمنيهم بالنتائج التي يمكن أن يصلوا إليها إذا هم استيقضوا ونهضوا. غير أنَّه أيضاً كان في بعض شعره السياسي متشائماً ويظهر هذا واضحاً في قصيدته "النبيُّ المجهول" التي يقول فيها : [١]

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٢٤٦ .

أيُّهَا الشَّعبُ ليتـني كُـنـتُ حَطَّـا

باً فـأهـوِي عـلى الجُذُوعِ بِفـأْسِـي

أنـتَ روحٌ غـبـيـةٌ تـكـرهُ الـنُّـورَ

وَتَقْضِي الدُّهُـورَ في ليلٍ مَـلْـسِ

إنَّـنـي ذَاهِـبٌ إلى الغَـابِ يَا شَـعْـ

ـبِي لأقضِي الحيـاةَ وحْـدِي بِبَأْسِي

ثُمَّ أنساكَ - ما استطعتُ - فما أنْ

تَ بـأهـلٍ لـخَمْـرَتِي ولِكَـأْسِـي!

وكذلك في قصيدته :**أحلام شاعر"** حيث يقول :[١]

ليتَ لي أنْ أعيـشَ في هذهِ الدُّنيـا

سَعِيـداً بِـوحـدتـي وانـفرَادِي

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٢٨٥ .

لا أُعنّي نـفـسـي بـأحـــلامِ شَـعْـبي

فَهْوَ حيٌّ يعيشُ عيشةَ الجَمَـادِ

أينَ هُوَ مِنء خَـريرِ سـاقيةِ الوادِي

وَخفقِ الصَّدَى وَشَدْوِ الشَّادِي

فكانت صوت تونس في أنينها وندائها وفخرها فهو شاعرها بلا منازع، ولقد شهد الشابي في أثناء حياته القصيرة فترة من تاريخ الشعب التونسي كانت المشكلة الجوهرية في أثنائها قضية بقاء هذا الشعب أو انقراضه .

وكان الشابي يعمل على بناء حياة جديدة في صورها المتعددة، الأدبية منها والاجتماعية، فلم تطق الرجعية المضي معه في هذا التمرد الخالق، ولم ترضَ لنفسها التخلي عن كسلها القاتل فسعت إلى محاربته وهاجمته الصحافة حيث اتهمته بالدعوة إلى (أدب الأغراب ومحاربة أدب الأعراب).

ولقى مناوأة [١] في بيئته لأن "العاطفة قد أفسدت عليه حياته وأصابته بدائه القتال الذي حطمه وأودى به وهو في نضارة الشباب كما أفسدت كثيراً من أحكامه، حين أوهمته بأنه ليس من طينة الناس" [٢]

---

١ مناوأة : مشقة .

٢ الشابي وجبران ص ٤٤ .

(ب) مرضه :

وعن مرضه نشأ تشاؤمه والسوداوية عنده وشدّة انفعاله حيناً بعد حين فقد كان لمرض الشابي تأثيرات متنوعة متعدّدة وانعكست على نفسية الشابي وأدبه الجميل، حتى إنَّ عدداً من قصائده كانت ملامح صادقة لمرضه .

مُنِيَ الشابي بمرضٍ لا يرجى منه شفاء فلم يستطع الثورة على حاله الطبيعية المرضية كما ثار على حاله النفسية والاجتماعية، إنَّه كان يظن أنَّ كل شيء في العالم يمكن أن يتبدَّل إذا شاءت الإرادة الفردية أو الشعبية أن تبدله .

ولكنه لما اصطدم بحقائق الحياة الطبيعية قيَّده المرض أدرك أنَّ هذه الإرادة عاجزة عن تبديل ما قد جرى به الزمن الأوَّل فعاد يطمئن نفسه بصحة القدر .

إنَّ في الأبيات التالية إذعاناً للقضاء والقدر ورضاً بما جرى به القلم الأزلي، يقول في قصيدته **"نشيدُ الأسى"** : [١]

مَـالي تُـعَـذِّبُـنـي الحَـيَـاةُ كَـأَنَّـنِـي خَـلْـقٌ غـرِيب؟
وإِذَا سـأَلتُ : لِـمَ الوُجُودُ؟ وَكُـلُّـهُ هَـمٌّ مُـذِيـب
قالتْ : نـواميـسُ السَّمَـاءِ قَضَتْ ومَالَكَ مِـنْ هُـروب !

وإذا كان الشابي أحيانا يحاول أن يتمرد على نتائج القضاء والقدر فإنه مقتنع بأن هذه النتائج مردها إلى أمر كان قد أقره القضاء نفسه .

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٢٠٨ .

يقول في قصيدة **"نشيد الجبار"** : [١]

سَـــأعيـشُ رَغْـــمَ الـدَّاءِ والأَعْــدَاءِ

كَالنِّسْـــرِ فَـــوْقَ القِمَّـــةِ الشَّمَّـــاءِ

وَأَقُـــولُ لِلْـقَـــدَرِ الَّذِي لا يـنـثـنِـي

عَنْ حربِ آمَـــالِي بِـكُـلِّ بَـــلَاءِ:

"لا يطفئُ اللهـبَ المؤجَّجَ في دَمِي

مــوجُ الأسَى، وعواصـفُ الأَرْزَاءِ"

وبعد هذا الكفاح الظاهر يعود الشابي فيستسلم للقضاء والقدر، إذ لا يجد بداً من الاستسلام مادام كل شيء يجري هذا المجرى المكتوب .

إنَّ استسلام الشابي للقضاء والقدر لم يطلع الشابي على سرهما ولا حل له لغز الحياة بل ألقاه في الحيرة ودلاه في اليأس .

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٤٤٠ .

يقول في قصيدة : ١

أرَى هيكلَ الأيَّامِ يَعْـلُو مشيَّـــدا
ولابدَّ أَنْ يأتي عَلَى رَأْسِهِ الهَدمُ
فيصبحُ ما قــدْ شيَّـــد اللهُ لِلْــوَرَى
خراباً كأنَّ الكُلَّ في أَمْسِـه وَهْمُ
لِتَعْسِ الوَرَى شاءَ الإلهُ وُجُودَهُـمْ
فكانَ لهمْ جَهْلٌ وَكَــانَ لَهُـمْ فَهْمُ

ولَّما أفاق الشابي من النوبة الشديدة التي انتابته عام ١٩٣٠ ف، نظم قصيدته **"إلى الله"** ٢ فشطح فيها شطحة يقول فيها :

خَبِّرُوني هَلْ للوَرَى مِنْ إِلهٍ رَاحمٍ - مثل زعمهم - أوَّاهُ !
إنَّنِي لَمْ أَجِدْهُفي هَاتِهِ الدُّنْيـا فَهَلْ خلفَ أُفْقِهَــا مــن إلـهِ ؟

---

١ لم يضع الديوان عنوان لهذه المقطوعة - ديوان ٧٢ ص ٢٩٢ .
٢ ديوان ٧٢ ص ١٠١ .

ويدرك الشابي المزلق الخطر الذي وضع قدمه عليه، قبل أن يرتد نفسه عن البيت الثاني فيقول بعده مباشرة :

مَا الَّذِي قَدْ أَتيتَ يا قَلْبيَ البَاكِي

وَمَـاذَا قَـدْ قُلْتِـهِ يَـا شِفَاهِي ؟

يَا إِلهِي قدْ أنطـقَ الهـمُّ قَلْبِـي

بِالَّـذِي كَـانَ فـاغتفرْ يَا إِلهِي !

(ج) حالته المادية وموت أبيه :

وعنها نشأ ضغط أعباء الحياة وتكاليفها عليه فحرمه كثيرا من الحرية التي كان يجب عليه أن يتمتع بها، حيث كان موت والده قد ألقى على كاهله من الأعباء المادية فكانت وفاة والده خسارة مادية وكانت رزية أدبية هزت من نفس شاعرنا بل كانت أعظم رجة أصيب بها قلبه وأكبر مصاب نزل به في حياته فألقيت عليه أعباء عائلة كبيرة ولقد زاد في ثقل هذا العبء أن أبا القاسم "لم يشأ أن يلج باب الإرتزاق من المناصب الحكومية" . [١]

ومع ذلك كله فقد استطاع أبوالقاسم الشابي أن يتمَّ دراسته في كلية الحقوق التونسية وأن ينال إجازتها في سنة ١٩٣٠م

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٥٦١ .

ومر زمن كان الشابي فيه تاعسا مثقلا بأعباء الحياة، يظهر ذلك في قصيدته **"يا موت"** التي رثى بها أباه، يقول فيها : [١]

يا موتُ قد مزَّقتَ صَدْرِي وَقَصَمْتَ بالأَرْزَاءِ ظَهْرِي
وَفَجَعْتَنِي فِي مَنْ أُحِبُّ وَمَنْ إليهِ أبثُّ سِرِّي
وَرَزَأْتَنِي فِي عُمْدَتِي وَمَشُورَتِي فِي كُلِّ أَمْرِ
وَهَدَمْتَ صَرْحاً لا أَلُوذُ بغيرِهِ وهتكتَ سِتْرِي
وفَقَدْتُ كَفاً فِي الحَيَاةِ تَصُدُّ عَنِّي كلَّ سرِّ
وفَقَدْتُ رُكْناً فِي الحَيَاةِ وِرايتِي وَعِمَادِ قَصْرِي

ويعود الشابي في قصيدته **"قيود الأحلام"** [٢] فيكشف لنا عن حقيقة هذه الأحوال التي تعذبه في الحياة فإذا هي القيام بأعباء الأسرة التي خلفها أبوه فيقول:

لكنَّنِي لَا أستطيعُ فإنَّ لِي أُمّاً يَصُدُّ حَنانُها أَوْهَامِي

---

١ ديوان ٧٢ ص ٢٣٤ .

٢ ديوان ٧٢ ص ٢٨٨ .

وَصِغَارَ إخوانٍ يـــرونَ ســـلامَهُم فِي الكائِناتِ معلقـــاً بِسَـــلَامِي
فَقَدُوا الأبَ الحَـانِي فكنتُ لضَعْفِهِمْ كَهْفـاً يصـــدُّ غَوَائِـــلَ الأيَّـامِ
وَيَقِيهِـمُ وَهْجَ الحَيـــاةِ ولَفْحَهَـا وَيَـذُودُ عَنْـهُـم شـــرَّةَ الآلَامِ
فَأَنَـــا المُكَبَّـــلُ فِي سَلَاسِـــلِ حَيَّـةٍ ضَحَّيْتُ مِنْ رَأْفِي بِهَـا أَحْلَامِي

ولكنَّ أبا القاسم الشابي سرعان ما ينسى ذلك كله، لأنَّ الحاجة رفعت عن ظهره سوط عذابها فصلحت حاله مادياً . ثمَّ إنَّ شيئاً من التحسن العارض طرأ على صحته فأحس بفيض الحياة في جسمه فنسى كثيراً من آلامه وجميع أحزانه، فإذا في ديوانه مقطوعة عنوانها "الاعتراف" [١] يقول فيها :

مَا كُنتُ أحسبُ بعـد موتِـكَ يَـا أَبِـــي
وَمشَـــاعِـــرِي عَمْيَـــاءُ بالأَحْـزَانِ
إِنِّي سأظمـــأُ للْحَيَـــاةِ وَأَحْـتَســـي
مِنْ نَهْـــرِهَا المتـــوهِّـــجِ النَّشْـوَانِ

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٤٥١ .

وَأَعُودُ للدُّنْيـــا بقـــلبٍ خَـــافِـــقٍ
لِلْـحُـــبِّ والأَفْـــرَاحِ وَالأَلْـــحَـــانِ
ولكـلِّ مَـا فـي الكَـوْنِ مِـنْ صُـوَرِ المُنَـى
وَغَـــرَائِبِ الأَهْـــوَاءِ وَالأَشْجَـــانِ
حَتَّى تَحَـرَّكَـــتِ السُّنُـــونُ وأَقْبَـــلَـتْ
فِتَـــنُ الحَيَـــاةِ بِسِحْـــرِهَا الفَتَّـــانِ
فَإِذَا أَنَـــا مَـــازِلْـــتُ طِفْـــلاً مُولَعـــاً
بِتَـعَـقُّـبِ الأَضْـــوَاءِ وّالأَلْـــــوانِ
وَإِذَا التَّشِـــاؤُمُ بالحَيَـــاةِ ورَفْضِـــهَـــا
ضَرْبٌ مِنَ البُـهْـتَـــانِ وَالهَـذَيَـــــانِ
إنَّ ابـــنَ آدمَ فِـــي قَـــرَارَةِ نَـــفْـــسِـــهِ
عَبْدُ الْحَيَـــاةِ الصَّـــادِقِ الإيمَـــــانِ

(د) مطالعاته :

وهي التي طبَّعت نفسه وشعره بعناصر من الخيال والانفلات والنقمة ، ثمَّ أدخلت على شعره شيئاً من الجدَّة والطرافة ، فقد تركت في نفس الشابي وعلى شعره أثراً عميقاً باقياً .

وكانت مطالعاته في النتاج الأدبي الحديث وفي الأدب المهجري ، وفي أدب جبران منه خاصة .

"وينعقد الإجماع على أنَّ الشابي كان تلميذاً للمدرسة المهجرية. والطابع الذي تركته هذه المدرسة في أدب الشابي لا سبيل إلى إنكاره وإغفاله وتجاهله" [١]

والتليسي في كتابه "**الشابي وجبران**" يقول :

" بأن أغلب الدراسات تتفق على تأثير جبران في الشابي ولكنها تقف صامتة عند تحديد مدى هذا التأثير" .

---

[١] الشابي وجبران ص ٤٩ .

ويعقد التليسي في كتابه "الشابي وجبران" في الشابي فصلاً عنوانه **"الشابي وجبران"** (ص٤٩ - ٦٦) أراد أن يصحح فيه الوهم الذي علق ببعض الأذهان فصوَّر لها أنَّ أثر جبران في الشابي لم يتعدَّ حدود التشابه في الصياغة وطريقة الأداء ورأى التليسي أنَّ "الدراسة الواعية لنتاج هذين الأديبين تكشف مدى الأثر العميق الذي طبع به جبرانُ الشابي" .

ونلاحظ أنَّ الحب والحرية والتمرد والطموح والثورة على الجمود والرجعية وإيثار الألم الحافز الذي يدفع الأفراد والشعوب إلى الحياة والنهوض حيٌّ في قصيدته **"النبي المجهول"** [١]

التي يقول فيها :

ليتَ لي قُـوَّةَ العَوَاصِفِ ، يَا شَعْبِـــي
فَأُلْقِـي إليـــكَ ثـــورةَ نَفْسِـــي

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٢٤٦ .

ليتَ لي قُـوَّةَ الأَعَاصِيرِ ، إِنْ ضَجَّتْ

فَأَدْعُـــوكَ للحَيَـــاةِ بِنَبْسِـــي !

ليتَ لي قُـوَّةَ الأَعَاصِيـــرِ . . لَكِـــنْ

أَنْتَ حَـيٌّ يقْضِـي الحَيـاةَ بِـرَمْسِ

وفي قصيدة **"إلى الشعب"** [1] يقول :

أَيْنَ يَا شَعْبُ قَلْبُكَ الخَافِقُ الحسَّاس ؟

أَيْنَ الطموحُ وَالأَحْـــــلَام ؟

أَيْنَ يَا شَعْبُ رُوحُكَ الشَّاعِرُ الفَنَّان ؟

أَيْنَ الخيالُ وَالإِلْهَـــــــام ؟

أَيْنَ يَا شَعْبُ فَنُّكَ السَّاحِرُ الخَـلَّاق ؟

أَيْنَ الرُّسُومُ وَالأَنْغَـــــام ؟

ففي هاتين القصيدتين ملامحٌ لأثر أدب جبران في أدب الشابي ، وغيرهما كثير ولكننا لسنا بصدد إحصائها .

---

[1] ديوان ٧٢ ص ٤٢٦ .

الفصل الثاني

- **مكوِّنات المذهب الرومانسي .**
- **الحركة الرومانسيّة .**

المذهب الرومانسيّ :

من أين جاء مصطلح الرومانسيّة ؟

المصطلح الرومانسيّ يعني القصّة الطويلة في الفرنسية، أو القصّة الخيالية في الانجليزية .

وأول من استخدم هذا المصطلح الرومانسيّ :تورنيت" وهو كاتب فرنسيّ في نهايات القرن السابع عشر، واستخدم هذا المصطلح أثناء تحليله لشخصيات "شكسبير" وعن الشخصيات الذاتية التي يُعنى بذواتها، وتتميز هذه الشخصيات بالعاطفة الشديدة، وكثيراً ما كانت تموت حباً مثل "روميو وجولييت" .

وقامت الحركة الرومانسيّة بشكل نشط في القرن التاسع عشر في فرنسا، وباقي الدّول الأوروبية المجاورة، وتميزت في إنجلترا، وهناك من قال بأنَّ الرومانسيَّة وُلِدَت في إنجلترا، ونشطت في فرنسا .

مكوِّنات المذهب الرومانسيّ :

أولاً : المكوِّن التاريخيّ :

وبدأ منذ انشقاق الشعوب المحلية على السّلطة في روما، حيثُ كانت روما تمثِّل أكبر دولة بالعالم، وتكاد تكون أكثر أجزاء آسيا وأفريقيا، وجميع أوروبا تحت حكم هذه الدَّولة باستثناء الدولة البريطانية.

ونظراً لكبر الرقعة الخاضعة لحكم الدولة الرومانية، وعدم قدرة الحاكم من السيطرة على أراضيه، استقلت مناطق من الحكم الروماني وشعوب تلك المناطق المحليَّة هم يعرفون بالرّعوية أو الشعوبية وقد أطلقت هذه الشعوب على نفسها اسم "الرومانس" وهي تعني طبقة البسطاء الخارجة على الحكم الروماني الأصلي، أي الدولة الرومانية، وهذا المكوَّن هو الذي أفرز حبّ الطبيعة.

ثانياً : المكوَّن العربيّ :

وهو يتمثّل في الشعر العذريّ العربيّ، حيث انتقلت قصص العذريين من الأدب العربي إلى أوروبا عن طريق الأندلس، باعتبار أنَّ الأندلس تمثل أوج الثقافة في أوروبا فأخذ أولئك الأوروبيون كثيراً من تقاليد وقيم العرب، والموروث العربي الذي عرَّفهم على حب العذريين الذين يموتون حباً وعشقاً [١] ،وشاعت هذه الأمثلة حتى عرفت في جميع أوروبا، وخُلدت من قبل كتابها، وشعرائها بالذَّات، وأضيف لوناً رومانسياً جديداً، وهو حِدَّة العاطفة – أي العاطفة العميقة والتفاني في سبيل المحبوب – .

وعلى هذا تغيرَّ البطل الرومانسيّ في العصور الوسطى ، من بطل كلاسيكي عنيف مدمّر مثل فكتور ، وميخائيل في الإلياذه إلى بطلٍ عنيفٍ ومُحب وصاحب نجدة ، وهؤلاء هم من أُطلق عليهم

---

[١] أوَّل من أحدث هذه النقلة هو المستشرق "جيب"

(فرسان العصور الوسطى) وأفراد هذا المكّون العربي يتمثل في هؤلاء الفرسان ، ومن أمثلة الأثر للحب العذري قصَّة "روميو وجولييت" .

ثالثاً : المكوِن الدِّيني :

فقد عرفت أوروبا في عصورها المتأخرة المظلمة شيوعاً كبيراً للجريمة والاعتداء ، وفقدان الأمن ، مما دعا الكنيسة للقيام بنشاط كبير في الوعظ الديني ، وإرشاد الناس ، وترقيق قلوبهم ، وإشاعة الخوف من الآخرة ، ونبذ الدنيا ، والحث على التعاون ، وحبّ الآخرين ، ونبذ القيم الجائرة ، ومحاربة الشر في النفوس .

رابعاً : المكوِّن الاجتماعي :

فقد كان لسقوط نابليون ، وسقوط الإمبراطورية الفرنسيّة بالكامل الأثر البالغ في نفوس الشباب ، وذلك لما كان يمثله نابليون

بالنسبة لهم ، فشعر بالانسحاق ، وخيبة الأمل وإضاعة المستقبل ، فشاع الفساد ، والضياع ، والتمرُّد ، وعدم الثقة ، وقد سمي ذلك الطموح الذي لا يمكن تحقيقه بما يُعرف بـ [مرض العصر] فكلما أراد الشباب شيئا لم يستطع تحقيقه ، وبين خيبة الأمل والإخفاق عاش المجتمع الفرنسيّ أوان ذلك ، فهذا العامل أضاف للرومانسية تشاؤماً ، وسوداوية اصطبغ بها المجتمع المنهزم .

واستجابة لهذه العوامل الأربعة : التاريخي ، والعربي ، والدينيّ ، والاجتماعيّ تكونت الرومانسية ، أو الحركة الرمانسيّة .

الحركة الرُّومانسيَّة :

بعد أن تشبّع كتاب أوروبا بهذه العوامل ، وبعد أن ضغطت الكلاسيكية بتزمتها على الناس ، دعا بعض المفكرين والأدباء إلى تغيير كامل في المجتمع والفن ، وأخذوا ينظرون في كتابتهم لهذا التغيير المقبل الجديد ، وكثيراً ما كان الكتاب يعبرون عن هذه الآراء في مقدِّمات كتبهم ، والشُّعراء في مقدِّمات دواوينهم، فكانت الحركة الرومانسيّة .

ومن أهم كُتَّاب الرومانسية في فرنسا (مدام رستال) ، و(شوبن هاور)، و (فيكتور هيجو) .

ومن أهم كتابها وشعرائها في إنجلترا (باريون)، و(قيتس)، و(شيلي).

وقد دعا الرومانسيون الإنجليز إلى إنظلاق العاطفة والخيال، والبحث في ما وراء الطبيعة ، والبحث في خواطر الأطياف في العصور الوسطى .

ونشط الرومانسيون في فرنسا نشاطاً كبيراً فدمَّروا كل ما هو كلاسيكي ، وخرجوا ذات مرَّة في تظاهرات في الشوارع العامَّة يهتفون للرومانسيَّة ، وأحذ عموم الرومانسيين يفتشون عن تقاليد جديدة ، وخلق أنماط جديدة في الفن والأدب، ولذلك لجأ بعضهم إلى العيش في المقابر والخرائب ، وقسمٌ آخر عاش في الجبال والكهوف ليستمعوا إلى العواصف ، وأصوات الرِّياح الشديدة ، وقسم آخر خالط الحيوانات في الغابات ، وآخر كان يعيش على ضفاف الأنهار والبحار ، ويُعجب بالليالي المقمرة ، كما كان البعض يقيم في الأكواخ .

وقد بالغوا في معارضتهم للكلاسيكيين حتى لجأوا إلى وسائل بشعة وغريبة، فأخذوا يشربون الخمر في الجماجم ، بينما الكلاسيكيون يشربونه في كؤوس من ذهب ، كما أعجبوا بما عرَّفوه بـ[عزيف الجنِّ] . [١]

---

[١] عزيف الجنّ : هو صوت الرياح المارة بين جبلين فقد أُعجب الرومانسيون بهذا الصوت ، وأطلقوا عليه اسم "عزيف الجن" .

وهكذا أُخذت الرُّومانسيّة في تدمير كل ما هو كلاسيكيّ ، وتدمير وإلغاء الحدود بين الفنون جميعاً ، وعدم التمسك بالقواعد الفنية لكل فن ، مما أشاع الفوضى والاضطراب حتى وقع البعض من الكتاب والأدباء بالشطحات ، وباللامعقول ، وبالمحضور ، ممَّا جعل بعض المفكرين يشعر بهذا التَّخريب الكبير وتصدَّى له ، مثل الناقد [آرثنج بابيت] الذي قال :

[لا خير في أدبٍ لم يراقب من قبل العقل] .

فدعا هذا الأديب إلى تقييد العاطفة ، وجَعْل كلِّ عمل فنيّ يُراقب من العقل، وهكذا انتهت الرومانسيَّة ، وبدأت الكلاسيكية الجديدة في نهاية القرن التاسع عشر ، وبداية القرن العشرين .

الفصل الثالث

- جذور الرومانسيَّة في الشِّعر العربيّ .

* الرومانسيّة في القرون الإسلاميّة الأولى .

- الشابيّ والرومانسيّة في العصر الحديث .

جذور الرُّومانسيَّة في الشِّعر العربيّ .

إنَّ الشكل التعبيري والصوري والفكري في الشعر العربي القديم كان غالباً كلاسيكياً بمعنى أنه جرى وفقاً لقواعد صارمة وتقليد في العبارة والوزن والقافية . إلا أنَّ روح الشعر كانت غالباً روحاً رومانسية بمعنى الانفعال، كان يزخر فيه وكانت التجارب في معظمها ذاتية كالرومانسية ، ومنذ العهد الأول كانت تجربة الطلل تجربة رومانسية خالصة ، فيها تعبير عن الزوالية المحتمة في متن الأشياء وقدرها وفيها بكاء عن العواطف وموت الأشياء والزمن ، وصورة عن دبيب الموت في خلايا الوجود . وتلحق بتجربة الطلل تجربة المطايا الظاعنات في الغداة. والرحيل كان بالنسبة إلى الشاعر العربي القديم امتداداً من تجربة الطلل والصيرورة القائمة أبداً .

إلا أنَّ الشاعر العربي كان يقع في قبضة الوصف، وهو ملازم للتجارب البدائية التي تطرب في مرحلة أولى لنقل الأشياء

عبر اللفظ والصورة أو الفكرة . ومع ذلك فإن وصف البقرة الوحشية والصحراء والعقاب والسيل والسراب ، إن ذلك الوصف المتمرد في القصيدة القديمة قد يتخذ الصفة البرناسية [١] من كونه مقتصراً على التقرير وما يدنو إلى المحاكاة . إلا أن الشاعر استبطن عبره التعبير عن إحساس عميق بروح هذه المظاهر ولم يولجها في شعره مع أنها كانت والجة في نفسه .

وفي العصر العباسي كثر وصف الرياض ومواضع اللهو والقصور الدراسية المتعفية فضلا عن معالم العمران ومواضع اللهو، وهذه الموضوعات قد تقع كلها في باب الرومانسية. إلا أنه لم تقم في الشعر العربي القديم نظرية رومانسية واعية يلتف عليها الشعراء ويبنون الوجود ويهدمونه بالنسبة إليها ويوقعون عواطفهم ومواقفهم . ودعوة أبي نوّاس الدَّاعية إلى التعبير عن

---

[١] البرناسية : حركة جاءت بعد الرومانسية وهي تصف الطبيعة وترسمها بصورة مجسمة في الشعر ورائدها شاعر فرنسي "ده ليل" وسبب هذه التسمية نسبة إلى جبال البرانس في فرنسا .

البيئة القائمة في الحاضرة العباسية والكف عن ارتياد تجربة الطلل وما إليه في قوله :

قُلْ لِمَنْ يَبْكِي عَلَى رَسْمٍ دَرَسْ
وَاقِفـــاً مَـا ضَرَّ لَوْ كَانَ جَلَسْ

إنّ تلك الدعوة كانت متهمة بالتأثر بالنزعة الشعوبية [١] ولم تتسع وتبلغ من المدى ما يمنحها صفة الشمول . فليس في الشعر العربي ولا النقد العربي القديمين وعي للتجربة الرومانسية و تأكيدٌ عليها وإقامة الشروط والتبريرات لها ، إن هي إلا خواطر وسوانح تعبر بالشاعر من طبيعة تجربته ذاتها .

ومع ذلك كله ، فإننا نقع على لمح ولمع رومانسية واضحة المعالم في بعض الشعر القديم . وإذا عدنا إلى تجربة امرئ القيس ،

---

[١] النزعة الشعوبية : محاولة طمس ما هو جيد للعرب ، وقام بهذه الحركة غير العرب (الفرس واليهود تحديداً)، أي شعوبٌ أخرى انتقدت العرب .

نجده وقد خطف في لحظات رومانسية متفوقة عبر الطّلل وبخاصة في قوله : [١]

أَلَا عِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الطَّلَلُ البَالِي

وَهَلْ يَعِمَنْ مَنْ كَانَ فِي العُصْرِ الخَالِي

وَهَـلْ يَعِمَـنْ إِلَّا سَعِـيدٌ مُخَلَّـدٌ

قَلِيـلُ الهُمُـومِ مَـا يَبِيتُ بِأَوْجَالِ [٢]

ومثل هذين البيتين الطلليين قد يبدوان تقريريين في طالعهما الظاهر ، فإذا أمعنا فيهما ألفيناهما مفعمين بالروح الرومانسية والوجود الوجودي والماوراني .

وإنَّ الشاعر في ذهوله وانخطافه يخاطب الطلل وهو كناية عن حجارة ونؤي ووتد وموضع أثافي ، يخاطبه وكأنَّه يخاطب

---

١ ديوان امرئ القيس ص ٢٧ .

٢ بأوجال : الأوجال جمع وجل ، وهو الفزع .

إنساناً يشاركه المعاناة. ولعلَّ الجاهلي وكان ابن البداهة المبرمة في يقينه الداخلي ، أحس أنَّ في تلك الجوامد الصَّامتة أرواحاً خفية تناديه وتناجيه بصمت وتتكلم دون كلام وتُصغي دون أن تسمع .

ولقد تجاوز الشاعر عبر ذلك الحدود المادية أو الوصفية المقررة ونفذ فيما وراء العقل وتخطاه دون أن ينقصه ، وتلك كانت نوعاً من الرومانسية الفعلية بالحياة والمعاناة وليست بالنظرية والمبادئ الواعية . إلا أنَّ الشاعر يُردف بأنه لا سبيل إلى إسعاد الشيء الذي يزول ويتعفى . وهنا تطرأ على الشاعر تجربة الزمن الذي ينقض الأحوال ولا يدع الأشياء تقيم على ما يرغب الأحياء منها .

إنَّه شعور التولي والنزوح وهروب الثواني بالعمر فيما هي تعدو بنا أو نعدو بها . والشاعر يقول إنَّه مادام الزمن يعبر فليس من سعادة تُقيم ، وليس من حقيقة باقية . ثمَّ إنَّه يضيف بأن السعادة لا تؤاتي إلا الملحد الذي لا يبيتُ تحت وطأة الهموم

والخوف . ولقد نفح الشاعر في قلب الطلل العافي تجربة زوالية وعدمية بل تجربة الخوف والتوقع من غدرات الزمن وانتكاصاته .

فهذا الطلل كما بدا خلال هذين البيتين هو طلل رومانسيّ ، داخلي وتجربة الزمن والحياة والموت والسعادة والتعاسة ومعاناة الترجي والقهر ، هذه كلها تحول ذلك الرسم إلى حالة تقمَّصت فيها زوالية الأشياء وانخطافها في قدرها المكتب لها دون إرادة . فامرؤ القيس عانى الحياة والطبيعة من الدّاخل وتلك هي الرومانسيّة الفعلية .

والمهم في ذلك كله الخوف الغامض الذي لا باعثاً ظاهراً له في قوله: " ما يبيتُ بأوجال " وكأنَّ أمرأ القيس كان يحس بأنَّ الإنسان متروك لقدره وأنَّ الدَّهر يتربص به في كلِّ حين ، فالطلل هو هنا الشاعر نفسه ، وقد تنفس عن همومه وغمه من خلال الأنقاض وهي مثله في تهدّمها وخرابها .

وفي القصيدة التي نظمها هذا الشاعر وهو يشطر وجهه إلى القيصر ، وقد مرَّ بحوران تقع على نوعٍ من الوجد الرومانسيّ الشديد الشحوب والاصفرار ، إنَّه لم يعد يحنّ إلى الطلل بل البادية كلها وكأنها استحالت إلى رمز للنعيم وما دونها رمزاً للنعيم وما دونها رمزاً للجحيم . يقول : [١]

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالحَوَادِثُ جَمَّةً

بِأَنَّ امرأَ القَيْسِ بنَ تَمْلُكَ بَيْقَرَا

فَلَمَّا بَدَتْ حُورَانُ وَ الآلُ دُونَهَا

نَظَرْتَ فَلَمْ تَنْظُرْ بِعَيْنَيكَ مَنْظَرَا

تقطَعُ أسبابُ اللُّبَانَةِ وَالهَوَى

عَشِيَّةَ جَاوَزْنَا حُمَاةَ وَشَيْـــزَرَا [٢]

---

[١] ديوان امرئ القيس ص ٦١ .

[٢] حماة وشيزرا : موضعان في ناحية الشام .

فالشاعر يأسى ويحزن أنه غدا ببقرا أي غدا من أبناء المدن وتلك داهية ألَّمت به وكأنَّ الإقامة في المدن من تلك الفواجع التي يلقي بها الدَّهر على أبنائه الواهين بين قبضته ، والرومانسية تظهر في ذلك الحنين ومعاناة الغربة بين أحضان العالم المتجهِّم ، الفاقد الصلة بالنفس والمظاهر التي تغدو كأنها جدران لمنفى .

ولقد خطف البرق ونزل المطر والشاعر يستطلع مَصاب البرق والمطر لعله ينزل في أرض الحبيبة. ولعله أراد أن يحمّله التحية لها أو أنَّه يحسده على النزول في تلك الأرض البارحة ، وهل بعد أصفى في الوجد الرومانسيّ من هذه الفلذات الموحشة الناحية على البعد والقرب والتي تخفق بمثل الأنين للبرق الذي يخطف المطر الذي ينهمر وكان الشاعر قد بثَّ فيها وحملها فيما فوق العقل تجربة النزوح والفراق والصبابة تلك كانت رومانسية أولى بدائية عفوية، حميمة، لم تنزُل فيها لعنة الوحي والنظريات والمبادئُ

والفعل وردَّة الفعل وهدم الكلاسيكية والتأسيس للرومانسية من دونها .

هنا الإنسان يواجه الكون بالبداهة والحنين والندم والغربة والألم والوهن ولا ينكر ضعفه وهزاله بين يديه ، حتى أنَّه يتجاوز حدوده الممكنة ويُحمل المطر تحيته وحنانه ووجده .

وإذا عدنا إلى وصف امرئ القيس للمرأة لوجدنا أنَّه يجمع لها شتات الطبيعة ومظاهر متباينة ليبدع معادلة لها .

يشبه لونها بلون بيض النعام الأبيض المصفر وقد غذى بنمير الماء العذب البكر . وقرن عينها بالظبية وشعرها بقنو النخلة وساقها بالقصب المذلل بالماء وجعل وجهها يضيء الليل كمصباح راهب .

وفي الظاهر يخيل إلينا أن أمرأ القيس شخص حسي أمام المرأة ، يجسد إحساسه بموضوع الفتنة فيها .

إلَّا أنَّ التقصي فيها يطلعنا على أنَّ الشاعر أضمر حسا بحس وأنَّه كان يعبر عن نوع من الشهوة إزاء جسد حبيبته ، فهو يبصر لونها وساقها ، ولكنه يتحسسها في الآن ذاته ، ويحس بأنهما نديان طريان ، مرويان من الداخل .

وقد ألف بين حاستي اللمس والبصر في لحظة واحدة وعبر صورة متآلفة. وهذا الإحساس العميق قد ما يدنو من البعد الرمزي فضلاً عن المظهر الرومانسيّ. والتوحيد بين المرأة والطبيعة في ذلك الشعور العفوي الحاد العميق ، قد يكون منبعثاً من حس رومانسيّ عميق بفتنة المرأة والطبيعة معاً ، ولننظر في قوله واصفاً حبيبته :[١]

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ المِسْكُ مِنْهُمَا

نَسِيمُ الصّبَا جاءتْ بِزَيَّا مِنَ القُطُرْ[٢]

---

١ ديوان امرئ القيس ص ١٥٧ .

٢ القطر : العود الذي يتبخّر به .

كأَنَّ النَّجَارَ أَصْعَدُوا بِسَبِئَةِ

مِنَ الجَصِّ حتَّى انزلُوها عَلى يُسُرْ

كأنَّ المُدَامَ وصَوبَ الغَمَامِ

وريحَ الخُزَامى ونشر القُطُرْ

يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا

إذا طَرَّبَ الطَّائِرُ المُسْتَحِرْ[١]

فليس هناك فرقٌ بين جمال الطبيعة في شتى مفاتنها وبين حبيبة الشاعر . فالصبا والخمرة والغمام في مائه والخزامى والبخور هذه كلها قائمة فيها .

ولنا أن نتمثل بمطلع المعلقة وفيه يقول :[٢]

---

١ الطائر المستحر : المصوّت بالسحر .

٢ ديوان امرئ القيس ص ٩ .

وُقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهُم

يقـولـونَ لا تَهْلِك أسـىً وتجمَّـل

وإنَّ شِفَائِي عَبْرَةٌ إنْ سَفَحْتُهـا

فَهَلْ عِنْدَ رَسْمٍ دَارِسٍ مِنْ مُعَوَّلِ

كَأَنِّي غَدَاةَ البيْنِ يَومَ تَحَمَّلُـوا

لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ[1]

فَفَاضَتْ دُمُوعُ العَيْنِ مِنِّي صَبَابَةً

عَلَى النَّحْرِ حَتَّى بَلَّ دَمْعِي مَحْمَلِي

وَيَوْمَ عَقَرْتُ لِلْعَذَارَى مَطِيَّتِي

فَيَا عَجَباً مِـنْ رَحْلِهَـا المُتَحَمّـلِ

فَظَلَّ العَذَارَى يَرْتَمِينَ بِلَحْمِهَا

وَشَحْمٍ كَهُدَّابِ الدِّمَقْسِ المُفَتَّلِ[2]

---

[1] السمر : شجر أم غيلان ، وهي شجر الصمغ العربي ، والناقف : المستخرج حب الحنظل ، والحنظل له حرارة تدمع منها العين .

[2] الدمقس : الحرير الأبيض .

فهذه أبيات رومانسية بالذكرى والندم والدموع ، وفيها من الرومانسية المغامرة في ذبح المطية وإطعامها للعذارى وكأنَّه يتهتك بكل ما يحرص عليه الآخرون وبدلاً من أن تكون المطية للقتال ، فإنه يذبحها للذة واللهو ، معارضاً بذلك واقع المجتمع والعصر صادراً عن يقين إلحادي بالقيم الأخلاقية والاجتماعية التي يحرص عليها الآخرون .

ويمكننا كذلك أن نولج تجربة عنترة المتجهمة السوداء وحنينه وحنانه وقسوته والذكرى التي فيها رومانسية واضحة، وخمرة طرفة العدمية المظلمة ومعاناته للموت القريب البعيد .

إنَّ ذلك كله يقع في التجربة الرومانسية الفعلية وإن كان أصحابه لم يعوها بوعيهم النظري إذ لم تقو في عصرهم نظريات شعرية . وأيا ما كانت الحال ، فإن التجربة الرومانسية هي تجربة عميقة في النفس البشرية ، بل إنها لازمتها منذ عهدها الأول وبقدر ما يوغل الإنسان في بداوة الشعر تتبدى له الملامح والتجارب

الرومانسية المفعمة بالبداهة والعفوية ، حين حاول الشاعر أن يعانق روح الكون .

ولسنا بصدد إحصاء معالم الرومانسية كلها في الشعر القديم لكننا ننوّه بأنها كانت قائمة في طباع القصيدة وطبائعها .

الرومانسيّة في القرون الإسلاميّة الأولى :

وفي القرون الإسلامية الأولى نلمح العديد من التجارب الرومانسية في غزل جرير وخمريات الأخطل ومن إليها ، إلا أنَّ تجربة عمر بن أبي ربيعة قد ما تنطوي على قليل أو كثير من الرومانسية فهو لم يكن من أصحاب العواطف الثابتة التي صحبت الرومانسيين .

ولابن الرومي - في العصر العباسي - إحساسٌ بروح الطبيعة أكثر من سواه وكثيراً ما كان يبثها همومه ونواياه ويتحد في وحدة حيَّة عميقة .

يقول في موت والدته :[١]

---

[١] الرومانسية في الشعر الغربي والعربي .

وَأَظْلَمَتِ الدُّنْيَا وَبَاخَ ضِيَاؤُهَا

وَشَمْسُ الضُّحَى حَيْرَى عَلَى القُمَمْ

وَأَبْدَى اكْتِئَاباً كلُّ شَيْءٍ عَلِمْتُهُ

وأَضْعَـافَ مَـا أَبْـدَاهُ مِنْهَا مَا كُتِمْ

كَذَاكَ أَرَى الأَشْيَاءَ وَهْماً وَهِمْتُهَا

نَهَاراً وَأَضْغَاثُ حُلْـــمٍ حُلِـــمْ

فهذا إحساس بعقم الوجود من خلال ضوئه ، والشمس ذاتها مشرقة إلا أنها حائرة فوق القمم ، وهذه الحيرة مستمدة من ذات الشاعر ، وقد ارتسمت على محيا الشمس ، وللشمس بُعدٌ آخر هو الحياة كلها ، حياة الشاعر ، وحياة الناس ، والوجود كله كئيب .

وفي النهاية يُخيل إليه أنَّ الأشياء موجودة ومفقودة ، إنَّه لا يرى الوجود بل اشباحاً واهمة وهو لا يحيا في واقع العالم بل في كوابيسه .

وللبحتري قصيدة في بركة المتوكّل تقع في مجال التجربة الرومانسية وكان البحتري أدنى الشعراء لهذه التجربة لأنه كان يتقبل الأشياء بانفعاله الذي لم تروِّضه الحضارة ولا العقل كابن الرومي والمتنبي ولقد تهوَّل أمام أعجوبة الحضارة فحينما شاهد بركة المتوكل تلهَّف غاية التلهف وجعلها الأولى والبحر ثانيها ، ولا شك أنَّ في ذلك نوعاً من الغلو المأثور ، إلا أنَّ الشاعر يبدو وكأنَّه صادق في تهوله من فتنة الحضارة وقدرتها على تجاوز القدر الإنساني الأليف والحدود التي وقف عندها البدائي الأوَّل .

يقول البحتري في وصف بركة المتوكل : [١]

يَا مَنْ رَأَى البِرْكَةَ الحَسْنَاءَ رُؤيتُها

والآنســاتِ إِذَا لَاحَــتْ مَغَـانِيهَــا [٢]

---

١ الأدب والنصوص للصف الثانوي ١٩٨١ ف ص ١٣٨ .

٢ المغاني : جمع مغنى وهو المنزل .

وَحَسْبُهَا أَنَّهَـا في فَضْـلِ رُتْبتِهَـا
تُعـــدُّ واحـــدةٌ والبحـرُ ثانيهَـا
كأَنَّمَـا الفضَّـةُ البيضـاءُ سائلـةٌ
مِـــنَ السَّبـائِكِ تجـري فـي مَجَارِيهَا[1]
إِذَا النُّجُـومُ تـراءتْ في جَوَانِبِهَـا
ليلاً حَسِـبْتَ سمـاءً رُكِّبَـتْ فيهـا
مَحْفُوفَةٌ بريـاضٍ لا تـزالُ تـرى
ريـشَ الطـواويـسِ تَحكيـهِ ويَحْكِيهَـا[2]

كذلك فإنَّ وصف الربيع لأبي تمَّام قضية جدلية بين الصحو والمطر ، وقد حاول أن يعثر علي سبيل لتأليف الأضداد في الوجود ، وأبو تمام أحسّ بقليل أو كثير من فرحة الرَّبيع وخيل إليه أن بهجة الربيع تكفي الإنسان عمّا دونها ، وأنَّ الإنسان تخلص من

---

١ السبائك : جمع سبيكة وهي القطعة من الفضة أو نحوها .
٢ تحكيه : تشبهه .

عاهاته معها، فلم يعد يطلب رزقاً وعيشاً ولم يعد تمتهنه الضرورات والحاجات وعاد يكتفي من الوجود بأن يشاهده ويبصر فتنته وروعته.

وتلك تجربة رومانسية عميقة من إحساس الشاعر بالفرح الذاتي ، ومن إحساسه في جهة أخرى بأنَّ الحاجات والضرورات إنما تُنكد على الحيّ حياته .

يقول في وصف الربيع :[١]

نزلتْ مقدِّمـةُ المَصِيـفِ حميـدةً

ويــدُ الشِّتــاءِ جديــدة لا تُكفّــرُ[٢]

مطرٌ يذوبُ الصحوُ منه وبعـدَه

صحــوٌ يكـاد مـن الغضارة يُمطـرُ[٣]

---

١ الأدب والنصوص ، للصف الثاني الثانوي ١٩٨١ ف ، ص ١٣٥ .

٢ تكفر : تستر وتجحد .

٣ الغضارة : شدة الخضرة .

مـا كـانت الأيَّـامُ تسلبُ بهجـةً

لو أنَّ حُسنَ الرَّوض كان يُعمَّـرُ

يـا صـاحبيَّ تقصَيـا نظـريكُمَـا

تريا وجوهَ الأرضِ كَيفَ تُصَـوَرُ

تريـا نهـاراً مشمسـاً قـد شابَهُ

زهـرُ الرُّبـا فكـأنـهُ هُـوَ مُقمِـرُ

وعلى هذا يمكن القول إنَّ الشعر العربي ألمَّ بالتجارب الرومانسية على مستويات مختلفة وإنَّه غلَّب الانفعال على العقل في مواضع ، إلا أنَّه لم يقم على ذلك ويتخذه كمذهب مطلق وحيد كما فعل الرومانسيون الغربيون ، وفضلاً عن ذلك فإنَّ طبيعة الصورة ظلت غالباً في الحدود الكلاسيكية المأثورة .

فالرومانسية الأولى - وإن لم تكن حركة معروفة أوان ذاك - إلا أنها كالحركة الرومانسية المذهبية فجّرت اللفظة التي كانت غالباً لفظة حسية وعقلية ، واللفظة النفسية مليئة بالذكريات والعاطفة الواضحة والغامضة .

الشابيّ والرومانسية في العصر الحديث :

بدت بذور الرومانسية - داخل الوطن العربي - عند مطران وقصيدته المساء التي يقول فيها :

داءٌ ألمَّ فخـــلتُ فيه شفـــائي

من صبـوتي فتضـاعَفَـتْ بُـرحائي

يَا للضَعيفين استبدَّا بي وَمَا

فـي الظلمِ مثلُ تحكُّـــمِ الضُّعَفَـــاءِ

قلبٌ أصـــابتْـــهُ وَالجَـــوى

وَغِـــلالـــةٌ رثَّـــتْ مِـــنَ الأَدْوَاءِ

بيد أنَّ الريادة الحقيقية للرومانسية داخل الوطن العربي تمثلها مدرسة الديوان بريادة عبد الرحمن شكري وابراهيم المازني وعباس محمود العقاد .

وقادت الرابطة القلمية في المهجر بزعامة جبران وميخائيل نعيمة حركة تجديدية في الشعر العربي حيث تفجر ينبوع الرومانسية الغزير في أدب جبران فكانت اللفظة في أدبه وكأنهَّا نغمٌ روحي ولم يدع حالة من الأحوال النفسية ولا شعوراً ولا تجربة إلا وتغنى بها وكساها بالخيال والانفعال العاطفي .

وكانت رومانسية جبران أكبر تجربة في الأدب العربي المعاصر لأنها حررت اللفظة من قبضة الذهن وقد مكَّن للخيال في الأطر الحسية ولم يقف عند أي حائل ، فكان ابن الحرية الإبداعية التي أولجت إلى الأدب العربي روحاً جديدة لن يقع على مثيل لها عبر عصور طويلة .

وفيما كان جبران يفجر ينبوع الرومانسية في المهجر كانت البلاد العربية تحتضن تجارب متعددة غلبت عليها النزعة السياسية والاجتماعية ،إلا أن جماعة في مصرأنشأوا جمعية أبوللو ومن بينهم الدكتور زكي أبوشادي وانظم إليهم الشابي من تونس ، ولم يكن

الدكتور أبوشادي من الموهبة والثقافة ما يقدر له أن ينهض بعبء هذا المذهب الروحاني ، ولم يكن لصحبه العبقرية المتفجرة غالباً .

إلا أنَّ الدكتور إبراهيم ناجي حاول في مرحلة النضج الفني لديه أن يسمو بتلك التجربة ودرَّت له بعض القصائد العليا نسبياً

وفي ظلال الرومانسية التقى أبو القاسم بأدب جبران وما فيه من خصائص ومميزات فوجد فيه رفيقاً قوياً لعقله وفكره .

وتجاوبت الأراء والأفكار الرومانسية مع الخصائص الذاتية لأبي القاسم ، ووجد فيها ملاذاً وملجأً ، كما وجد فيها متنفساً لعواطفه الجياشة ، وحساسيته المفرطة ، فالكون كله عواطف وشعور كما يقول :

عِشْ بالشُّعُــورِ وللشُّعُــورِ فــإنَّمَا
دُنْيَاكَ كونُ عواطفٍ وشُعورِ
شِيدتْ على العطفِ العميقِ وإنَّها
لتجفُّ لو شِيدَتْ على التَّفكِيرِ

فالشابي تميز عن هؤلاء كلهم بل تميز على شعراء حقبته جميعهم ، وسطع نجمه وتألقت شمسه ويخيلُ إلينا أنَّه أصفى الشعراء الرومانسيين العرب .

الفصل الرابع

- **الوطنية في شعر الشابيّ.**
- **الطبيعة في شعر الشابيّ .**
- **المـرأة في شعر الشابيّ .**

الوطنية في شعر الشابيّ :

وطنية الشابيّ وطنية صادقة لا تخدم أغراضاً طبقية ، ولا تسير في ركاب حزب ولا توحيها مناسبة هزيلة ضئيلة لا تخرج في سطحيتها وبرودها عن تعليق الصحف .

وطنية متمردة ، وطنية الشاعر الذي وعى رسالته ، فأحسّ في أعماقه أنَّه مسؤول عن تبصير شعبه بمعاني الحياة الحرة الكريمة ، مسؤولية الشاعر الذي احترم ذاته وكيانه واستقلَّ بهما عن الآخرين ، فأحبَّ لشعبه أن يحقق ذلك في شخصية متميزة تتجه إلى المساهمة الحضارية الخالقة .

ويقول التليسيّ في كتابه **"الشابي وجبران"** :

" وكأنما كان يرى – هذا الشاعر الثائر – أنْ لا سبيل إلى طرد المستعمر وقهر الغاصبين إلا بخلق الشخصية القومية الطامحة" . [١]

---

[١] الشابي وجبران ص ٧٨ .

فالشخصية القومية الطامحة لا تحلق إلا فوق الرومانسيين الحالمين بغير الواقع ، فللشابي قصيدة قالها قبل موته بشهرين بعنوان **"الدنيا الميتة"** : [١]

إنِّي أَرَى فَأَرَى جُموعاً جَمَّـةً
لكنَّهـا تَحْيَـا بِـلَا ألبـابِ
يُدوّي حواليهـا الزمـانُ كأنَّمـا
يُدوّي حوالي جَندلٍ وتُـرابِ
لُعبٌ تحرِّكُهَا المَطَامِعُ واللُّهَى
وصغائـرُ الأحقـادِ والآرابِ
الشاعـرُ المَوهُوبُ يُهرِقُ فنَّهُ
هَدْراً على الأقدامِ والأعتابِ
الويـلُ للحسَّـاسِ في دُنيـاهُمُ
مَاذَا يلاقي مِـنْ أَسَىً وعَذابِ

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٤٨٠ .

عنوان القصيدة يفصح عن مضمونها حيث تتجلى نقمة الشابي وحساسيته المفرطة وشعوره بأنَّه يعيش في عالم غريب بين الغرباء والموتى ، فيحاول أن يستثير همة الشعب فيقول في قصيدته "إلى الشعب" : [١]

أينَ عزمُ الحيـاةِ ؟ لَا شيءَ إلَّا
الموتُ والصمتُ والأسى والظلامُ
عمــرٌ ميـتٌ ، وقلـبٌ خَـــواءٌ
ودمٌ ، لا تُـثـيـــرُهُ الآلامُ
وحيـاةٌ تنـامُ في ظُلْمـةِ الوادِي
وَتَـنْـمُـو مِـنْ فَوقِهَـا الأوهَـامُ
أيُّ عيـشٍ هـذا ، وأيُّ حيـاةٍ ؟
(رُبَّ عيشٍ أخفُّ منْـهُ الحِمَـامُ) [٢]

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٤٢٦ .

[٢] عجز هذا البيت للمتنبي ، صدره : ذل من يغبط الذليل يعيش .

ولكننا نجد الشابي بين الحين والآخر يذكر الشعب بأنَّه صاحب الموقف ، ويجعل الدور الأول في كل نهضة وحركة للشعب ، فهو يحترم الشعب ويثق بقدراته إذا اتخذ الطريق الصحيح وسار على النهج القويم ، فيقول في قصيدته **"إلى الطاغية"** :[١]

وفي صيحة الشعب المسخر زعزع
تخـــر لهـا شـــم العـــروش وتهـدم
أغـرك أن الشعب مغـض على قذى
وأن الفضاء الرحب وسنان مظلم

وتنطلق وطنية هاتفة متمردة طليقة مؤمنة بالحياة والطوح كارهة للحياة بين الحفر ومتطلعة إلى السمو مترفعة عن الجمود والركود الذي لا يليق بأبناء الحياة المؤمنين بغدهم.

---

[١] ديوان ٧٢ ص ١١٨ .

ففي قصيدته **"إرادة الحياة"** إيمان عميق بالطموح وكان يبحث في شعبه عن صورة المتطلع إلى ما وراء الوجود .

هذه القصيدة الخالدة التي تعلن للناس أن الطموح حبيب الحياة وروح الظفر كانت تغذيها مشاعر فياضة وأحاسيس شفافة تتدفق صدقا ورومانسية خلقتها ظروف شخصية وبيئية .

وينقل الشابي إلى الشعب حقيقة يدرك من خلالها أنه – أي هذا الشعب – لن يخرج من حالة الموت إلى عنفوان الحياة إلا إذا نشط فيه دافع الحياة ، إلا إذا "أراد" حقا أن يكون شعبا حيا .

وهذه الإرادة لا تتحقق بطريقة عفوية بل هي رهْنٌ بمدى حرارة "الأشواق" التي يستشعرها الإنسان إزاء الحياة . فإذا اشتعلت في نفسه هذه الأشواق تولدت الإرادة ، وتغلب فيه دافع الحياة على دافع الموت ، وعند ذلك يصبح الطموح دليل الإنسان إلى المغامرة . فإذا خمدت أشواق الحياة في نفس الإنسان فقد

الطّموح وكفّ عن المغامرة ، وصار حياً كأنَّه ميت . وفي هذا يقول الشابي أبياته المشهورة من قصيدته "إرادة الحياة" : [١]

إذا الشَّعْبُ يَوماً أرادَ الحَياة
فلابُدَّ أَنْ يَسْتجيبَ القَدَرْ
وَلاَبُدَّ للَّيلِ أنْ يَنْجَلي
ولابدَّ للقيدِ أَنْ يَنْكَسِرْ
ومَنْ لَمْ يُعَانِقْهُ شَوْقَ الحَياةِ
تبخَّر في جَوِّهَا وِانْدَثَرْ
فويلٌ لمنْ لَمْ تَشُقْهُ الحَيَا
ةُ مِنْ صَفْعَةِ العَدَمِ المُنْتَصِرْ

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٤٠٦ ، وقد نظمها عام ١٩٣٣ ف ، أي قبل وفاته بعام واحد تقريبا .

ثم يعود في نفس القصيدة لكي يؤكد هذه المعاني حين يقول على لسان الأرض :

أُبارِكُ في النَّاسِ أهْلَ الطُّمُـوحِ
وَمَنْ يَسْتَلِذُّ رُكُوبَ الخَـطَـرْ
وألعـنُ مَنْ لا يُماشي الزَّمَـانَ
ويقنعُ بالعيشِ عيشِ الحَجَـرْ
هُو الكـونُ حيٌّ يُحِبُّ الحَيَـاة
ويحتقـرُ المَيْتَ مَهْمَا كَـبُـر
فلا الأفْقُ يحضنُ مَيْتَ الطّيورِ
ولا النَّحْلُ يلثمُ مَيْتَ الزَّهَـر
ولـولا أمـومة قـلـبي الـرَّؤومُ
لَمَا ضَمَّت المَيْتَ تِلْكَ الحُفَر

فلم يكن الشابي من رجال السياسة أو الإدارة فيسعى لقلب النظام ولا كان قائدا عسكريا فيشنها ثورة دامية يزحزح بها تلك

الهياكل المتجبرة عن عروشها ليفسح للشعب طريق التحرر والحياة حياة إنسانية كاملة ، ولكنه كان شاعرا فأخذ يستغل مفعول الشعر في تنبيه قومه والإهابة بهم لكي يخلعوا عنهم تلك الثياب القذرة من الغفلة والاستسلام .

وكانت هذه خطوة من خطوات الإصلاح ، إذ خرج الشابي بالشعر عما ألفه ذلك العصر من أغراض ، فسخّره في مساندة الدعوة الإصلاحية وجعله بوقاً من أبواق النهضة والإيقاظ .

ويتضح لنا من مجموع الديوان أنَّ هنالك نحو سبعة عشر موضعاً ، ذكر الشابي فيها الشعب : ثلاثة مواضع ورد فيها ذكر الشعب على سبيل الإشارة العارضة التي لا توجب حكماً ، كقوله في قصيدته **"نظرة في الحياة"** : [١]

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٧٨ .

وللشعـوب حَيَـاةُ حيناً وحينـاً فنـاءْ
واليأسُ موتٌ ولكنْ موتٌ يُثيرُ الشَّقَاءْ
والجِدُّ للشعبِ روحٌ تُوحي إليهِ الهَنَـاءْ
فإنْ تولَّتْ تَصـدَّتْ حَياتُـهُ للبَـلاءْ

وأما المواضع الباقية ففيها كلها حملة شديدة على الشعب لاستنهاضه ، فالشابي يعيش مع الناس بغير رضاه غريباً وحيداً في عالمٍ من الغربة والاغتراب، من أجل ذلك تراه يريد أن يعيش بعيداً عن الناس كلهم حتى عن أمته وأهل بلاده .

يقول في قصيدته **"السآمة"** : [١]

فأينَ الأمـاني وألحانُهـا ؟
وأينَ الكُؤوسُ وأينَ الشرابْ ؟

---

[١] ديوان ٧٢ ص ١٢٢ .

لقدْ سحقتهَـــا أكفُّ الظَّـلامِ
وقَدْ رشفتهَـا شِفَـاهُ السَّـــرَابْ
فمـا العيشُ في حومةٍ بأسُهَا
شديـــدٌ وصدَّاحُهَـا لا يُجَابْ
كئيـبٌ وحيـــدٌ بآلامِـــهِ
وأحلامِهِ ، شُـــدوه الإنْتِحَـابْ
ذوتْ في الرَّبيعِ أَزَاهِيرُهَـــا
فَنَمْـنَ ، وَقَدْ مَصَّهُـنَّ التُّـــرَابْ

الطبيعة في شعر الشابيّ :

تجربة الشابي في الطبيعة لا تعدّ ولا تُحصى ذلك لتعددها واتساعها وانحنائه فيها على الصغيرة والكبيرة ومن مزجها بتجربة الحب والحرية والتكامل الروحي فيما وراء الوجود .

وليس في شعر الشابي قصيدة واحدة تغيب عن مظاهر الطبيعة وعناصرها ، ولعله أوشك أن يستنفذ موضوع الطبيعة ويأتي عليه بذاته وبما إليه ، فالشاعر في قصيدته "بقايا الخريف" يهيل التشابيه والاحتمالات على الخريف حيثُ يجد الفضاء وكأنه شاعر حالم والزهور مكفنة والغدير مواتاً والزهرة التي قضت والتي يرثيها أفجع الرثاء وكأنه يرثي فيها زهرة العمر والحياة بل إنها زهرة آماله الرومانسية التي تكاد لا تزهر وتشب حتى تحني أعناقها للزوال .

يقول في قصيدته **"بقايا الخريف"** : [١]

فسرتُ إلى حيثُ تأوي أغَانِي

الرَّبيعِ وتذوي[٢] أماني الخريف

وحيثُ الفَضَا شاعرٌ حالمٌ

يناجي السُّهولَ بوحي طريف

وقدْ دثَّرتْهُ غيومُ المساءِ

بطلٍّ حزينٍ ضريحٍ شفيف

وقفتُ وحولي غديرٌ مواتٌ

تمادَتْ به غفواتُ الكُهوف

قضتْ في حَفَا فِيهِ تِلْكَ الزُّهورِ

فَكفَّنَهَا بالصَّقِيعِ الخَريف

---

١ ديوان ٧٢ ص ١٧١

٢ تذوي : تذبل

سِوى زهرةٍ شقيتْ بالحياةِ

وملبثُهـــا بالمقـــامِ المُخيـــف

ثمَّ يمضي إلى أن يقول :

ذكرتُ بمضجعها المطمئـــن ومرقدها في السفير الجفيف

مصارعَ آمالـي الغـــابـــرات وخيبتها في الصراع العنيف

فقلَّبتُ طرفي بمهوى الزهور وصعّدْته في الفضاء الأسيف

وقلتُ :"هو الكونُ مهدُ الجمال ولكن لكلِّ جمالٌ خريف..!"

ولا يعتم على الشاعر أن يسمع قصف الرَّعد و ها إنه يترجم صوته ويحس أنه لا يقصف وإنما هو أشبه بروح معذبة تئن وتعول في قمم جسدها بل إنه ربما كان صوت الحق الذي يتمادى في عنفه ليسكت صوت الظلم . تلك احتمالات طرأت على ذهن الشاعر تحت وقع الرعد ولكن هذه التساؤلات ظلت في السّدى لم

يسمع عنها جواباً فالنهار والليل لم يجيبا والليل ظل مطبقاً مثل غدير الفقر .

يقول في قصيدته **"أنشودة الرَّعد"** : [١]

في سُكُـــونِ اللَّيـــــلِ لمّـــا عانـــقَ الكـــونَ الخُشُـــوعْ
وَاخْتَفَى صَـوْتُ الأَمَـــانِي خَـلْـفَ آفَـــاقِ الهُجُـوعْ
رَتَّـــلَ الـرَّعْـــدُ نَشِيـــداً رَدَّدَتْـــهُ الـكَـــائِـنَـاتْ
مِثْلَ صَوْتِ الحَقِّ إنْ صَـاحَ بِـأَعْـمَـاقِ الـحَـيَـــاة
يتـــهَـــادى بـضَجيـــجٍ في خـــلاَيـــا الأَوْدِيَـــة
مِثلَ جبَّـــارِ بَنِـــي الجِـــنِّ بـــأَقْـصَـــى الـهَـــاوِيَـــه
فَسَـــألـــتُ اللَّيْـــلَ واللَّيْـــلُ كـــئـيـــبٌ ورَهِـــيـــبْ
شَاخِصًا باللَّيْـــلِ واللَّيْـــلُ جـمـيـــلٌ وغَـرِيـــبْ
أَتُـرى أُنشُـودَةُ الرَّعْـــدِ أَنِـيـــنٌ وَحَنِـيـــنْ
رَنَّـمَـتْـهَـا بـخُـشُـوعٍ مُهْجَةُ الكَونِ الحَزِيـــنْ

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٧٩ .

أَمْ هِيَ القُـــوَّةُ تَسْـــعَى بِاعْتِسَـــافٍ واصْطِخَابْ
يَـــتَـــرَآى فِي ثَـــنَـــايَـــا صَوْتِهَـا رُوحُ العَـــذَابْ؟
غَيرَ أنَّ اللّيْلَ قـــدْ ظَـــلَّ ركُـــودًا ، جَـــامِدًا
صَامِتًا مِثْلَ غديرِ الفقـــرِ مِـــنْ دُونِ صـــدَى!

وحين يرنو الشاعر إلى الليل فإن اللغز ذاته يبين له كما بدا في الخريف والرعد. ماذا يكون الليل؟ إنه إله رؤوف ربُّ العرائس، وقد يكون إله الرعب والرهبة، وفي حين يخَيَّل إليه أنَّه والدٌ رحيم يضم الطبيعة بين أحضانه ويتعطف عليها بل إنَّه يولجها إلى ذاته ويذوب فيه.

وللمساء وقعة في شعر الشابي وهو مثار للأحلام والكآبة ، وفيه معنى الأوبة والنهاية مع التعب والكفاح في ساح النَّهار . كلُّ شيء يؤوب في المساء ، إلا أمل الشاعر فإنه ولّى ولا عودة له . والأمل ذاك ليس أملاً بلقاء وإنما هو أملٌ خاص لإنسان كلّي ، أمل العثور على يقينه وعلى حريته وعلى كُليته ، أمل العثور على نفسه

وفهم ذاته . وهذه الكآبة تفيض من غربة النفس ووحاشة العالم وامتناع الحقيقة .

يقول الشابي في قصيدته " **أيها الليل** " : [١]

أيُّهَا الليلُ يا أَبَا البؤسِ والهَـوْ
لِ ياهيكـلَ الحَيـــاةِ الرَّهيبِ !
فِيكَ تَجْثُو عرائسُ الأَمَلِ العَذْ
بِ ، تُصـلَـّي بصَوتِهـا المحبـوبَ
فَيُثِيــرُ النَّشِيــدُ ذِكْــرَى حيـاةٍ
حَجَبَتْهَــا غُيــومُ دَهْــرٍ كَئيـبِ

ويمضي في قوله إلى :

فَـلَــكَ اللهُ مِــنْ فــؤادٍ رَحيـمٍ
ولكَ الله مـن فــؤادٍ كـئيــب

---

[١] ديوان ٧٢ ص ١٣٧ .

يهجعُ الكـونُ ، في طمأنينةِ العُصـ

ـفور ، طِفـــلاً، بصدركَ الغَـريب

وبأحضـانكَ الرحيمـةِ يستيقـظُ فـي

نـضـــــرةِ الضَّحُــوكِ الطَّــرُوبِ

* * * * *

إنَّ وادِي الظَّـــلامِ يَطْـفَــحُ بـالهَـوْ

لِ ، فـمـا أبعـدَ ابتسـام القلــوبِ!

قَدْ سَـألتُ الحياةَ عَنْ نغمـةِ الفَجْـــ

ـرِ، وَعَنْ وَجْمة المســاءِ القَطُــوبِ

فسمعتُ الحياةَ ، في هيكلِ الأحـزا

نِ، تشــدُو بِلَـحْـنِـهـا المَـحْـبُـوبِ

مَـا سُـكـونُ السَّمـــاءِ إلا وُجُـــومٌ

مَا نشيــدُ الصَّبَــاحِ غيــرُ نحيـبِ

لَيْـسَ في الدَّهْــرِ طَـائـرٌ يـتـغـنَّـــى

فـي ضِفَــافِ الحيـاةِ غَيْـرَ كَئيــبِ

* * * * *

جرفتْ من قرارةِ القلبِ أحْـــلا
مـي إلى اللَّحْدِ، جَائِراتُ الخُطُوبِ
فَتَلاشَـــتْ عَلَى تُخُـومِ الليـالـي
وتهاوتْ إلى الجَحِيم الغَضُـــوبِ
وثـوى في دُجُـنَّـةِ النَّفسِ ومـضٌ
لـم يـزلْ بيـن جيئَـةٍ وذُهـــوبِ
ذكرياتٌ تميسُ [١] في ظلمةِ النَّفْـسِ
ضِئالاً ، كرائعـــاتِ المَشيـــبِ
يَا لِقَلْبٍ تَجَـــرّعَ اللَّوعـــةَ المُـــرَّ
ةَ منْ جدولِ الزَّمـــانِ الرَّهيـبِ!
وَمَضَتْ في صَمِيمِهِ شُعْلَـةُ الحُـــزْ
نِ ، فَعَشَّتْـــهُ مِنْ شُمـــاعِ اللَّهيـبِ

---

[١] تميس : تتبختر .

وهكذا كان الشابي يحاول أن يستبطن مظاهر الوجود وأن يهبها عقلاً ونفساً ومعاناة دون أن يفلح في أن ينتظم عظمة الكون في سلك واحدٍ . ويلوي عن ذلك على كآبة وجودية روحية من عجز الإنسان عن فض لغز الكون ولغز النفس. فالرَّعد هو كسائر مظاهر الطبيعة يحمل رسالة إلى الإنسان إلا أنَّ الإنسان في كثافة المادية ومنطقيته وحواسه العمياء ، بات عاجزاً عن تفهُّم ظاهره وفض الرسالات التي يبعثها إليه .

ففي نظرة الشابي إلى الطبيعة شيء من الثورة على الحقيقة الفعلية ، فالطبيعة تستعجم على الإنسان لأن الإنسان مستعجم عن ذاته بماديته وأنانيته ومنطقيته .

المرأة في شعر الشابيّ :

المرأة بالنسبة للشابي هي الحياة الروحانية ورمز الحياة المتحررة من عاهاتها وشوائبها ، وحيثما رنا الشاعر في الطبيعة تطالعه المرأة ، فكانت الحبيبة بالنسبة إليه منحلّة في قلب الطبيعة ، ومترائية أبداً في مظاهرها حتى توحدت الطبيعة والمرأة بوحدة نهائية لا انفصام فيها ، ذلك أن الشابي كان ابن نفسه وبيئته ولم تكن المرأة في بيئته إلا سراً مكتوماً ، فتحولت بذلك إلى حلمٍ يغمر الطبيعة وسائر معاني الوجود .

وتصوير الشابي للمرأة إنما كان محاكاةً للطهر والعفة والجمال ، وبعيد كل البعد عن شوائب الجسد ، يقول في قصيدته **"صلواتٌ في هيكل الحب"** : [١]

أنتِ أنتِ الحياةُ في قدسِهَا السَّامي وفي سِحْرِهَا الشَّجيّ الفريدِ
أنتِ أنتِ الحياةُ في رَّقةِ الفَجْرِ وفي رَوْنَقِ الرَّبيعِ الوليدِ

---

[١] ديوان ٧٢ ص ٣٠٣ .

أنتِ أنتِ الحياةُ كلَّ أوانٍ ، في رواءٍ مِنَ الشَّبابِ جَديدِ
أنتِ دنيا من الأناشيدِ والأَحْلَامِ والسَّحرِ والخَيالِ المُريدِ
أنتِ فوق الخيالِ والشّعرِ والفَنِّ وفَوقَ النُّهى وفوقَ الحدُودِ
أنتَ قدسي ومَعبدي وصَبَاحِي ورَبيعي ونَشْوَتي وخُلُودِي
يا ابنة النُّورِ إنّني أنا وَحدِي مَنْ رأى فيكِ روعةَ المَعْبُودِ
فدعيني أعيشُ في ظلِّكِ العَذْبِ وفي قُربِ حُسْنك المشْهودِ
عيشةً للجمالِ والفَنِّ والإلْهَامِ والطُّهرِ والسنَى والسُّجودِ
عِيشَة النَّاسِكِ البَتُول يناجي الرَّب في نَشْوةِ الذُّهول الشَّديدِ

وللحبّ جدولة الذي كان موعداً له مع الحبيب يرتشف منه الأحلام ويصغي إلى أغاريد الحياة وأناشيد الخلود وإلى العذاؤى ينشدن فيها أغاني الروح، والشاعر في قصيدة "**جدول الحب بين الأمس واليوم**" يرتسم مثالية للحب من خلال الطبيعة المثالية الشفافة كاسياً الحب والطبيعة كليهما من أوهامه وأحلامه .

ولقد لقي على ذلك الجدول الرُّومانسيّ فتاة تلامحت له لحظة وتوارت . إلى أين توارت ؟ لعلها عادت إلى منزلها أو بلدتها إلا أن الرومانسيّ يأنف من التقارير الواقعية المباشرة حسب تقدير الشاعر ، ولا يمكن أن تقطن حبيبته المنازل وتقيم في البيوت ، هي امرأة من لحم ودم ، والمرأة التي يحبها الشاعر هي امرأة روحية وحورية أو عروس من عرائس الطبيعة الغامضة . ولذلك فإنها تقيم حيث تقيم أحلام الشاعر خلف الغيوم ، تقيم بين سائر العذارى اللواتي يرتلن وينشدن واللواتي يتجولن بين النجوم .

يقول في قصيدته "**جدول الحب بين الأمس واليوم**" : [١]

هُوَ جدولُ الحبِّ الذي قَدْ كانَ في قَلْبي الخَضِل
بمر اشِفِ الأَحْلَامِ مُنْطَلِقاً يسير على مهل
يتلو على سَمعي أغاريدَ الحياةِ الطَّاهِرَة
ويثيرُ في قلبي أناشيدَ الخُلُودِ السَّاحِرَة

---

[١] ديوان ٧٢ ص ١٥٢ .

تقفُ العذارَى الخالداتُ عرائسُ الشّعرِ البديعْ
في ضفَّتيهِ ، مُردِّداتٍ نغمةَ الحلْمِ الوديعْ
يلمسنَ قيثارةَ الأحلامِ ، أوتارَ الغزلْ
فتفيضُ ألحانُ الصَّبابةِ عذبةً مثلَ الأمَلْ
وتطيرُ بالبَسَمَاتِ والأنغامِ أجنحةُ الصّدَى
في ذلك الأُفقِ الجَميلِ وذلك النَّسَمِ الرُّخا
وهناكَ ، حيثُ تعانِقُ البَسَمَاتُ أنغامَ الغَزّلْ
يتمايلُ الحُلُمُ الجميلُ كبَسْمَةِ القَلْبِ الثَّمِلْ

* * * * *

هو جدولٌ قد فَجَرَّتْ ينبوعَهُ في مُهْجَتي
أجفانُ فَاتِنَةٍ أرتنيهَا الحياةُ لشقْوتِي
أجفانُ فَاتِنَةٍ تراءتْ لي على فجرِ الشَّبَابِ
كعروسةٍ مِنْ غَانياتِ الشّعرِ في شَفَقِ السَّحَابِ
ثم اختفتْ خلفَ السَّماءِ وَرَاءَ هاتِيكَ الغُيُوم

حيثُ العذارَى الخالداتُ يمِسْنَ مابين النُّجوم
ثم اختفتْ أوَّاه ! طائرةً بأجنِحَةِ المَنُون
نحو السَّماءِ ، وهَا أنا في الأَرْضِ تمثالُ الشُّجُون

فالرومانسي قلما يعشق امرأة من لحمٍ ودمٍ ، تلك امرأة مظلمة آسنة -حسب رؤية الشاعر - ، والمرأة التي يحبها تأتي من غيب تقيله عثرته وترد روحه المتلهفة وتخلق في نفسه الحنين الهالع أبدا ، لذلك كانت الحبيبة التي تغنى بها الشابي امرأة لا اسم لها ولا هوية وليست معروفة في بيئته وبين صحبه ، إنه هو الذي ابتدعها من أحلامه كسائر الرومانسيين ، وتعبَّد لها في محراب ذاته ومحراب الطبيعة ، وظل الوجد يخفق فيه إليها على غير طائل .

وقد تباينت الآراء حول المرأة عند الشابي [١] هل هي المرأة الحسية التي هي من لحم ودم ؟ أم هي المرأة التي نسجها من خياله

---

[١] يقول محمد الحليوي : إن المرأة التي يقصدها الشابي هي امرأة خيالية غير حسية ، أما زين العابدين السنوسي فيذكر أن المرأة هي امرأة حسية من لحم ودم .

لا اسم لها ولا هوية يرويها من فائض حنانه ويغمرها بفريد شعره ويرى فيها عالما من المثل بعيدا كل البعد عن نجاسة المادة .

وبما أن الحديث يدور حول المرأة وشاعرية الشابي الرومانسية فإنني أرى أن المرأة التي كان يترقبها الشابي ويرمز لها في أشعاره هي امرأة روحية وشعوره اتجاهها شعور طاهر ، وغزله فيها عفيف يتناسب مع امرأته الروحية .

وذكر بعض الدارسين [١] أن الشابي كان غير ناجح في زواجه مما يجعلنا نقول : إن صورة المرأة الروحية وصفاتها التي تتميز بها عن غيرها من النساء الحسيات الموجودات في عالم المادة كل هذا ربما كان سببا من أسباب فشل زواجه، إذ أن اختلاف الواقع مع شاعريته الحالمة باللاواقع واللاموجود خلق في نفسه شيئا من نكصان الذات وانتكاسها مما جعلنا نأسى على حياة هذا

---

[١] ابو القاسم كرو ، زكي أبو شادي .

الشاب الذي لم يتمتع يوما بمرح الشباب وفرحه ، ولكننا في الوقت نفسه نستمتع نحن بوافر شعره العذب .

ومن مجموع الديوان يتضح لنا أن عدد القصائد التي قالها الشابي في المرأة حوالي تسع عشرة قصيدة [١] ، وله قصيدتان في الأم هما : **"قلب الأم"** و **"حرمة الأمومة"** [٢] .

---

[١] تتداخل قصائد الحب مع القصائد التي قيلت في المرأة مما جعل العدد تقريبيا .

[٢] ديوان ٧٢ ص ٣٢٥ ، ديوان ٧٢ ص ٤٧٣ .

الخاتمة

بعد هذه الدّراسة متنوعة الوقفات؛ يمكننا القول: إنَّ حياة الشاعر أبي القاسم الشابي كانت حياةً مضطربة يكتنفها المرض والمفاجآت غير السارة مما جعله يعاني من حساسية مفرطة ومشاعر مرهفة زادت من فرصة إصابته بمرض الرومانسية – إن صحَّ التعبير – ومن ثمَّ مرض القلب الذي ظلَّ يعاني منه الى أن وافاه الأجل ، فقد كان مندفعاً مع عاطفته ، ولا ريب في أنَّ هذا الاندفاع كان سبباً من الأسباب التي قرَّبت منيته إليه حسب رأي الأطباء ، مع أنه كان يستطيع أن يحيا مع دائه كما عاش غيره مع أدوائهم ، ولكن القضاء النافذ كان عليه كتاباً موقوتاً .

ويمكننا القول : إنَّ شخصية الشابي الرومانسية كونتها أربعة عوامل واضحة المعالم في حياته وفي أحواله النفسية ثم في اتجاهه الفكري وأخيرا انعكست في شعره . وهذه العوامل هي التي ميزته عن غيره من الشعراء وخلقت فيه رومانسية واضحة المعالم ، وهذه العوامل الأربعة هي :

(أ) مرضه ، وعن مرضه نشأ تشاؤمه وسوداويته وشدّة انفعاله حيناً بعد حين.

(ب) حالته المادية ، وعنها نشأ ضغط أعباء الحياة وتكاليفها عليه فحرمه كثيراً من الحرية التي كان يجب أن يتمتع بها .

(ج) مطالعاته : وهي التي طبعت نفسه وشعره بعناصر من الخيال والانفلات والتطواف والنقمة ثم خلعت على شعره شيئاً من الجدّة والطرافة .

(د) حال بلده تونس ، والضعف السياسي ، مما خلفه الاستعمار الفرنسيّ .

ولقد أضيفت هذه العوامل الى عبقرية أصيلة وشاعرية فياضة ، فإذا نحن أمام شخصية فذَّة ولكنها هائمة مضطربة ، وعاجزة ولكنها متمردة طموح .

ولا خلاف في أنّ الشابي كان متشائماً كئيب النفس ، فقد قال هو عن نفسه : " إنني في كثير من الأحيان تطغى على نفسي كآبة الملل المبهم فأصدِفُ عن الكتب والناس ، ويوصد قلبي عن جمال الوجود " [١] .

وأخيراً : فإن حياة الشابي كانت خسارة شخصية بالنسبة له وفائدة شعرية للآخرين ، فقد عانى الشابي ما عاناه لنستمتع نحن بنتيجة هذه المعاناة ، وليزخر أدبنا العربي الحديث برومانسية رحبة الآفاق .

---

[١] من رسالة له إلى صديقه محمد الحليوي (توزر – الشابية – ١٩-١٢-١٩٣٣ ف) .

ذكر هذا الجزء من الرسالة في "الشابي شاعر الحب والحياة" لـ "عمر فرّوخ" .

المصادر والمراجع

أولا المصادر:

(أ) المعاجم:

ـ المصباح المنير العلامة أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي (ت ٧٧٠هـ) مطبعة مصطفى الحلبي مصر السنة (غير مذكورة) .

ـ مختار القاموس الطاهر أحمد الزاوي .

(ب) الدواوين:

ـ ديوان امرئ القيس تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف مصر ط، ١٩٨٣ م .

ـ ديوان شعر أبي القاسم الشابي عزالدين إسماعيل دار العودة بيروت ١٩٧٢م

ثانياً: المراجع:

ـ رسائل الشابي محمد الحليوي منشورات دار المغرب العربي تونس ١٩٦٨م.

ـ الرومانسية في الشعر الغربي والعربي إيليا الحاوي دار الثقافة للنشر والتوزيع بيروت ط١ ١٩٨٠ م.

ـ الرومانتيكية محمّد غنيمي هلال دار العودة بيروت ط١ ١٩٧٣ م.

ـ شاعر وشعب (أبوالقاسم الشابي) نعمات أحمد فؤاد القاهرة ١٩٥٨ م.

ـ شاعران معاصران (إبراهيم طوقان ، أبو القاسم الشابي) عمر فرّوخ المكتبة العلمية ومطبعتها ١٩٥٤ م.

ـ الشابي حياته وشعره أبو القاسم محمد كرّو ط٢ بيروت ١٩٥٤ م.

ـ الشابي شاعر الحب والحياة عمر فرّوخ دار العلم للملايين بيروت ط٢ ١٩٧٤م.

ـ الشابي وجبران خليفة التليسيّ الدار العربية للكتابة ط١ ١٩٧٨ م

ـ في الأدب التونسيّ محمد الحليوي الدار التونسية للنشر تونس ١٩٦٩ م.

ـ نماذج في النقد الأدبي إيليا الحاوي دار الكتاب اللبناني ط، عام(غير مذكور).

ـ كتب منهجية :

- الأدب والنصوص للصف الثاني الثانوي تأليف :

  السباعي بيومي - محمد خلف الله - شـــوقي ضيـف

  عمر الدســـوقي - عبد الحميد حسن

  مؤسسة ناصر للثقافة بيروت – لبنان ١٩٨١ – ١٩٨٣ م.

- الأدب والنصوص للصّف الثالث من معاهد المعلمين والمعلمات تأليف :

  فرج عبد السلام دسوقي - علي عبدالمنعم عبدالحميد

  مؤسسة ناصر للثقافة بيروت – لبنان ١٩٨١ – ١٩٨٣ م.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٥
الفصل الأول :	١٣
ابوالقاسم الشابي "موجز ترجمته"	١٥
بواعث التجربة الشعرية عنده	٢٥
الفصل الثاني :	٤١
المذهب الرومانسي	٤٣
مكونات المذهب الرومانسي	٤٤
الحركة الرومانسية	٤٨
الفصل الثالث :	٥١
جذور الرومانسية في الشعر العربي	٥٣
الرومانسية في القرون الاسلامية الأولى	٦٧
الشابي والرومانسية في العصر الحديث	٧٤

- **الفصل الرابع :** ٧٩
- الوطنية في شعر الشابي ٨١
- الطبيعة في شعر الشابي ٩١
- المرأة في شعر الشابي ١٠٠
- الخاتمة ١٠٧
- المصادر والمراجع ١١٠